

39



حكايــات شاعريــة

قصائد قصصية من الأدب الألماني الحديث



تعريب: د. عبد الغفار مكاوى

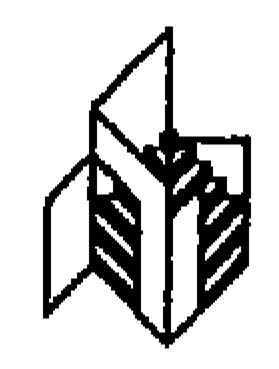
آفاق عالمية

حكايات شاعرية

قصائد قصصية (بالادات) من الأدب الألمانى الحديث

ترجمة

عبد الغفار مكاوى



الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عالمية

(شهرية) سبتمبر / 2004
(39)

حكايات شاعرية

لوحة الغلاف : (رسالة إلى ابنى)
للفنان العالمى: آسجر چورن (١٩٥٦)
تصميم الغلاف : محمد بغدادى
المراجعة اللغوية : عادل سميح
الطبعة الأولى : ٢٠٠٤
رقم الإيداع : ١٧٩٦٧/ ٢٠٠٤

المراسلات باسم مدير التحرير :
على العنوان التالي :
١٦ (أ) ش أمين سامي - قصر العينى -
القاهرة - رقم بريدى : ١١٥٦١

الطباعة والتنفيذ
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : ٣٩٠٤٠٩٦

رئيس مجلس الإدارة

د. مـــصطفى علوى

أمين عام النشر

محـمـد السيـد عـيـد

مدير عام النشر

فكــرى النقـــاش

المشرف الفنى

غـــريب نــــدا

هيئة التحـــرير

رئيس التحرير

طـلـعت الشـــايب

مدير تحرير تنفيذى

تغـــريد كـــامل إمـــام

تمهيد

١ - لم يؤثر فى نفسى فن من فنون الشعر الغربى كما أثرت فيها «البادلاد»؛ أى القصيدة القصصية أو القصة الغنائية. أتيح لى فى سنوات الطلب أن أطّلع على بعض نماذجها الخالدة للشاعرين: جوته وشيللر، اللذين يمثلان الذروة التى بلغتها، سواء فى مرحلة شبابهما العاصف المندفع أو فى مرحلتهما الكلاسيكية المتزنة المتوازنة. ثم تيسَّر لى على فترات متقطعة أن أقرأ بعض «البالادات» لشعراء مختلفى الميول والاتجاهات من القرنين التاسع عشر والعشرين، فأدركت بفطرتى مدى تنوع هذا الفن الشعرى تنوع الحياة نفسها بكل ما فيها من حب وكره، وحزن وشجن، وسحر وخرافة، وغدر وظلم، وبؤس وتعاسة، وحلم دائم بالممكن أو بالمستحيل، وطموح لتغيير الأوضاع الظالمة بالإرادة الثورية والرغبة فى تحقيق عالم إنسانى ومستقبلى خال من علاقة السيد والعبد، والغنى المتخم

والفقير المعدم، والمستبد المتجبر والضحية البريئة... ولعلنى قد أدركت بفطرتى أيضا أمرا لا يقل أهمية عما سبق، وهو أن «البالاد» مجمع فنون أدبية مختلفة تؤلِّف بين أساليبها التعبيرية وموضوعاتها وأشكالها وموادها فى وحدة غنائية تنتظر دائما من يستمع لها وينصت لألحانها، ففيها السرد الذى أخذته من الملحمة والقصة والرواية، وفيها الصراع والحوار اللذان استعارتهما من الدراما، وفيها العاطفة الأسيانة والشجن العميق الرقيق اللذان يجريان مجرى الدم فى عروق الشعر الغنائى، وفيها - قبل ذلك كله - نصيب موفور من التأثر بالأغنية الشعبية بتراثها العريق وأشكالها ومضامينها البسيطة المؤثرة تأثيراً مباشرا على الوجدان، وهو تأثير تظل محتفظة به مهما تعقد شكل بنائها فى مقطوعات وأوزان مختلفة الأطوال، ولوازم غنائية متكررة، وحرص على الإيقاع والقافية بطرق وأساليب متعددة، أو على التخلى عنها فى كثير من الأمثلة النقدية المتأخرة من الناحية الزمنية.

وقد تبيَّن لى بعد ذلك أن هناك من سبقنى بسنوات طويلة، وبعمق ونفاذ بصيرة لا قبل لى بهما، إلى إدراك ما أدركته بفطرتى المباشرة العاجزة. فقد فطن شاعر الألمان الأكبر «جوته»

(١٧٤٩ – ١٨٣٢) إلى تلك الخصوصية النادرة فى البالاد أو القصيدة القصصية، ونبَّه خلال حديثه عن الأنواع الأدبية – ضمن ملاحظاته وتعليقاته على «ديوان الشرقى للشاعر الغربى» – إلى الإمكانيات الثرية التى تنطوى عليها عندما كتب يقول :

«هناك ثلاثة أشكال طبيعية وأصيلة فقط للشعر: الشكل السردى الواضح، والشكل الحماسى المنفعل، والشكل الفعال من خلال الأشخاص، وهى تتمثل على الترتيب فى الملحمة والشعر الغنائى والدراما. هذه الأساليب المختلفة للإنشاء الأدبى يمكنها أن تؤثر مجتمعة أو بطريقة مستقلة، فنحن كثيرا ما نجدها مجتمعة فى أصغر قصيدة وكأنما هى مجتمعة فى بيضة أصلية حية، بحيث تبرز من خلال هذا التجميع فى أضيق حيز ممكن أروع بنية أدبية على نحو ما نلمسها فى «البالادات» الجديرة بأعظم التقدير عند الشعوب كافة..».

٢ – تمتد جذور «البالاد» إلى أغانى وأناشيد البطولة الجرمانية المتأخرة؛ كما تتمثل فى آخر نماذجها وهو أغنية أو أنشودة هيلد براند الأحدث (من القرن الثالث عشر الميلادى)، وربما امتد تاريخها إلى زمن الأدب الشفاهى[١] . ولم يقدر لهذا النوع من الأدب الغنائى والقصصى أن يستمر فى أدب العصر

المسيحي الوسيط، وذلك إذا صرفنا النظر عن بعض أغنيات الفرسان وأغنيات الحياة اليومية التى تحمل بعض سمات البالاد. كذلك لا يمكننا أن نؤكد وجود البالاد بمعناها الدقيق فى الشعر القصصى والغنائى الذى وصلنا من أدب عصر الإصلاح الدينى (القرن السادس عشر) ولا من أدب القرن السابع عشر، فالأغانى القصصية المقفاة التى كانت ترتل فى الأسواق والاحتفالات الدينية وتعتمد على سرد قصص الجرائم المثيرة والكوارث الطبيعية الفظيعة وأخبار الحروب المرعبة (وهى التى توصف أحيانا بأغانى البنك و«الموريثات»)[٢] لم يكن فيها سوى أثر ضعيف للبالاد بسبب طابعها البدائى الفج (لا الشعبى الحقيقى) القائم على الإثارة والتهويل.

والواقع أن الدافع الحقيقى وراء ازدهار البالاد – فى الأدب الألمانى بوجه خاص – قد جاءت «صدمته» من خارج الحدود الألمانية. ففى سنة ١٧٦٥ نشر الشاعر الإنجليزى توماس بيرسى مجموعة من ثلاثة مجلدات تضم عددا كبيرا من قصائد الشعر الإنجليزى والأسكتلندى القديم تحت عنوان: «الآثار المتبقية من الشعر الإنجليزى القديم». وقد تحمس لهذه القصائد الشعبية الأصيلة (بجانب التحمس لمجموعة مكفرسون التى ورد

الحديث عنها فى الهامش السابق) - بما تضمنته من تصوير حىّ للقوى الطبيعية الثائرة، وللشخصيات القدرية والبطولية الكبيرة - تحمس لها عدد كبير من الشعراء الشبان الذى أرادوا لقصائدهم أن تكون الضد المقابل لشعر البلاط المتكلف الذى بسط ظلاله الفقيرة المجدبة على أدب الطبقة السطى. وقد تأثرت «البالادات» الألمانية بالطابع المأساوى الفاجع الذى اتسمت به تلك القصائد القصصية الإنجليزية والإسكتلندية (راجع فى هذه المجموعة قصيدة إدوارد التى ترجمها ونظمها الأديب وفيلسوف التاريخ هيردر «١٧٤٤ - ١٨٠٣» الذى سبق أن تحدثنا عن مدى اهتمامه بالأدب الشعبى عامة وبتلك القصائد خاصة، وكان من أوائل الذين سارعوا إلى إعادة نظم عدد منها لتكون نماذج للتعبير الصادق عن الطاقة الإبداعية الفطرية للشعوب وللإنسان العادى البسيط)، ثم اتجه هؤلاء الشعراء بعد ذلك إلى اقتباس مادة قصائدهم القصصية من تراثهم القومى الزاخر بالأحداث والشخصيات والغرائب والعجائب والخرافات، مع تطعيمها فى الوقت نفسه بالروح النقدية والثورية التى توشك أن تكون سمة ملازمة «للبالاد» الألمانية بدءا من نماذجها الأولى الناضجة - عند «بيرجر» على سبيل المثال - إلى نماذجها الواقعية والنقدية

الساخرة سخرية مريرة عند «هينى» وعند بعض الشعراء «المحتجين» فى النصف الثانى من القرن العشرين، والمعروفين بتوجههم الثورى والنقدى الحاد (مثل: بريشت وبيشر وبيرمان وفيمان وفيرتيل وفاينرت وتسيميرنج وإنستر برجر... وغيرهم).

ومن ناحية أخرى لا يمكننا أن نغفل تأثير «الرومانسة» (القصة الخيالية والشاعرية العاطفية) التى ازدهرت فى إسبانيا منذ أواخر العصور الوسطى، وساعدت الشعراء الألمان على اكتشاف المنابع الحية لشعرهم الملحمى والدرامى، ووجدت عددا كبيرا من المترجمين والمقلدين الذين تأثروا بها فى بداية الأمر إلى الحد الذى استحال معه التفرقة الدقيقة بين «الرومانسة» و«البالاد»، وذلك قبل أن تختفى الحواجز والحدود التى كانت تميز البالادة «الشمالية» – المكونة من مقطوعات ذات بيتين ينتهيان بقافية ولازمة متكررة – وبين الرومانسة «الجنوبية» ذات المقطوعات المكونة من أربعة أبيات غير مقفاة، وذلك بعد أن ظهرت أشكال وبنى جديدة للمقطوعات والأبيات والقوافى، بحيث تداخلت البالاد مع الرومانسة وأصبحا حتى القرن التاسع عشر يمثلان نوعا أدبيا واحدا هو القصيدة القصصية ذات الأحداث الدرامية الواضحة التى يمكن أن تعد المقابل الشعرى والغنائى للأقصوصة أو القصة القصيرة فى الأدب السردى..

٣ - ذكرنا فيما سبق أن «البالاد» أو القصيدة القصصية قد نشأت بداياتها الزاهرة على أيدى شعراء وأدباء مثل هيردر، وبيرجر، وأولاند، وجوته فى شبابه، لكن يمكننا القول أيضا بأنها بلغت ذروتها الناضجة فى عام ١٧٩٧، وهو الذى يصفه مؤرخو الأدب الألمانى بأنه العام الكلاسيكى لبالادة جوته وشيللر. فى هذا العام العجيب - أو قبله وبعده بقليل - ظهرت أعمال، أو بالأحرى كنوز خالدة، يعتز بها منجم البالادة الثرى، وذلك مثل قصائد جوته القصصية «عروس كورنثه» والإله - الهندى - والراقصة، وصبى الساحر، والباحث عن كنز، وملك العفاريت (التى تجد ثلاثتها الأخيرة فى هذه المجموعة واعتمدت الأخيرة - التى كتبها جوته سنة ١٧٨٢ - على بالادة شعبية دنمركية كان هيردر قد سبق أن ترجمها تحت عنوان: «ابنة ملك العفاريت»، ومثل بعض قصائد شيللر كالغواص، وفارس توجنبرج، والقفاز، والضمان أو العهد، وإبيكوس، وأسراب الكركى (التى تجد ثلاثتها الأخيرة فى هذه المجموعة، وكلها بالادات فكرية ومثالية تؤكد استقلال الإنسان وحريته وكرامته وقدرته على مواجهة القدر الباطش بإنسانيته وإرادته وكبريائه وموقفه المثالى المتعالى والمتصارع مع عالم المادة والغرائز الوحشية من خلال «التربية

الجمالية للإنسان» كما سمى إحدى رسائله الفلسفية المهمة).

ولم يتوقف كبار الشعراء الألمان، وصغارهم أيضا، منذ عهد هذين الشاعرين الكبيرين، عن محاولة كتابة القصائد القصصية والدرامية التى تعالج شتى المضامين والمشكلات فى نظْم شعرى ملتزم بالوزن والقافية فى معظم الأحوال، أو فى أشكال شعرية حرة ومتحررة منهما؛ كما نرى عند بعض الشعراء المتأخرين والمعاصرين، بحيث اتسعت هذه البالادات لموضوعات شديدة التنوع والخصوبة، كالحب والألم، والسحر والخرافة، والمرح والسخرية، والنقد الاجتماعى الجرىء للظلم الاجتماعى والطبقى على اختلاف صوره عبر العصور، والدفاع عن حرية الإنسان وكرامته وحقه فى الحياة الطيبة السعيدة..

٤ – لقد أثبتت «البالاد» من موقعها الوسط بين الأقصوصة أو القصة الشعرية والدراما – قدرتها على التعبير العاطفى الصادق عن هذه الموضوعات بالأسلوب الغنائى والشعبى الذى تميزت به، لا سيما فى فترات الثورة والتمرد على القهر والظلم الاجتماعى وسحق حرية الإنسان واستقلاله وأبسط حقوقه المشروعة فى الحياة بغير خوف ولا ذل، بحيث بلغت قمما رفيعة من الجمال وشدة التأثير فى عصور الثورات المختلفة، وحروب

التحرير الوطنى – كما حدث أيام حرب التحرير من قبضة نابليون – والاحتجاج على النظام النازى الأسود وحكمه اللاإنسانى والشمولى المرعب. ولو تتبعت بعض النماذج التى تقدمها هذه المجموعة – وسبقت الإشارة إلى بعضها – لأخذك العجب من التنوع الشديد الذى يمتد قوسه ليشمل الموضوعات السابق ذكرها، وتتعدد صوره وانعكاساته بأكثر من تعدد ألوان الطيف. ويمكنك أن تتأمل – على سبيل المثال لا الحصر – قصائد للشاعر الرومانسى كليمنس برنتانو[٣] (١٧٧٨ – ١٨٤٢) لتلمس فيها شدة القرب من الروح الشعبية والأغنية الشعبية (كما فى قصيدته عن «حكاية لورا لاى» الأسطورية التى ما يزال الملاحون والفلاحون على شواطئ نهر الراين يرددونها على ألسنتهم)، وتستطيع بسهولة أن تتبين سمات الاحتجاج والنقد السياسى والاجتماعى فى بعض قصائد الشاعر والقصاص الفرنسى الأصل أدالبير فون شاميسو (١٧٨١ – ١٨٣٨) مثل: لعبة العمالقة والحلاق المناسب وملك من الشمال ونساء فينسبرج، وكذلك فى بعض قصائد الشاعر هينريش هينى (١٧٩٧ – ١٨٥٦) الذى اشتهر بعذوبته وسخريته القاسية وشدة إحكامه للبناء الشعرى (راجع قصائده القصصية عن بنى عذرة،

وأنثي، ووادى الآلام، وشارل الأول، والنساجون) بالإضافة إلى قصائد الشاعر لودفيج أولاند برؤيته التاريخية الواضحة، وإلمامه الواسع بالتراث والقدر الألماني وأساطيره الجهمة المظلمة (انظر في هذه المجموعة قصائده القصصية : ابنة صاحبة الفندق، ولعنة المغنى، وقصر على البحر) وقد استطاع أمثال هؤلاء الشعراء - الذين عاشوا وكتبوا في القرن التاسع عشر - أن يضعوا الأسس الراسخة لجُلِّ الشعراء الذين جاءوا بعدهم، سواء من الواقعيين والطبيعيين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (مع العلم بأن البالادة قد جربت أقسى فترات تدهورها وجفافها في عصرى الواقعية والطبيعية!) أو في أوائل القرن العشرين من التأثيريين والتعبيريين، أو من الشعراء الثوريين الذين عاش شبابهم وكهولتهم بالمحنة النازية القاسية، ولا يزال بعضهم أحياء يعملون ويبدعون... ونذكر من أسماء الشعراء الكبار فى القرن التاسع عشر: نيكولاوس ليناو (١٨٠٢ - ١٨٥٠)، وجوتفريد كيللر (١٨١٩- ١٨٩٠)، وفريدريش هيبيل (١٨١٣ - ١٨٦٣)، وفردنياند فرايليجرات (١٨١٠ - ١٨٧٦)، وديتليف فون ليلينكرون (١٨٤٤ - ١٩٠٠)، وتيودور فونتانه (١٨١٩ - ١٨٩٨)، وفريدرش ريكرت (١٧٨٨ - ١٨٦٦)، وذلك

حتى الشعراء الثوريين من أكثر من جيل فى القرن العشرين الذين تحولت بعض قصائدهم القصصية إلى نداءات أو دعوات تحريضية للنهوض والانتفاض على الظلم والحرب وسحق الحرية وإذلال الإنسان مثل: برتولت بريشت (١٨٩٨ - ١٩٥٦)، ويوهانيس بيشر (١٨٩٩ - ١٩٥٨)، وريشارد ديميل (١٨٦٣ - ١٩٢٠)، وبرتولد فيرتيل (١٨٨٥ - ١٩٥٣)، وإريش فينرت (١٨٩٠ - ١٩٥٣)، وإميل جينكيل (١٨٩٣ - ١٩٥٩)، حتى الأصغر منهم سنا مثل: فرانز فيمان (ولد ١٩٢٢)، وهاينز كالاو (ولد ١٩٣١)، وكارل ميكيل (ولد ١٩٣٦)، وماكس تسيمرينج (ولد ١٩٠٩)، وفولكر براون (ولد ١٩٣٩)، وراينز كيرش (ولد ١٩٣٤)، وغيرهم حتى وقتنا الحاضر.

٥ - حاولت تصنيف هذه القصائد القصصية وترتيبها فى تسع مجموعات تنتظم موضوعات ومشكلات متقاربة وضعتها تحت عناوين توخيت فيها الشاعرية واقتبست بعضها من ثنايا السطور. وإذا كنت ستجد عددا كبيرا من الشعراء الذين ذكرت أسماءهم ممثلين فى هذه المجموعة بقصيدة أو أكثر، فسوف تفتقد بطبيعة الحال عددا آخر ربما لم ترق لى «بالاداتهم» التى أتيح لى الاطلاع عليها أو لم تشجعنى على الاستجابة لها ونقلها

إلى شـواطئ لغـتنا ومـشـاعـرنا واهـتمـامـاتنا. لهـذا أسـارع بالاعتذار؛ لأن المجموعة التى اخترتها أو اختارتنى لن تقدم رؤية كاملة ووافية للقصيدة القصصية فى الأدب الألمانى الغنى بها غنى ملحـوظا. ولكن لعلها – فيما أرجو – أن تقدم نماذج دالة على «البالاد» وتطورها وتحولاتها خلال فترة زمنية تقرب من ثلاثة قرون، وذلك منذ أن بدأت أول ينابيعها السخية – كما سبق القول – فى التدفق بفضل شعراء كبار يعدّون اليوم أجدادها الشرعيين. ومن المألوف والمعتاد في مثل هذه المختارات المنتخبة أن يُفتقد هذا الشاعر أو ذاك، وهذه القصيدة أو تلك من القصائد التي كانت تعد درة فريدة فى عصرها وتزين كتب المطالعة فى أجيال سابقة. لكن الكمال مستحيل، وحسب هذه المجموعة أن تقدم للقارئ العربى عددا من أشهر وأنضج «البالادات» الألمانية، وتعطيه فكرة طيبة عن تطورها وتحولاتها فى أحد الآداب العالمية المهمة.

ولابد أيضا من الاعتذار مرة أخرى والاعتراف بالحسرة التى يشعر بها كاتب هذه السطور وهو يدعو القارئ للاطلاع – أو بالأحرى للاستماع – إلى قصائد محرومة من الوزن والقافية والإيقاعات التي تميز بها معظمها فى النصوص الأصلية. وقد

سبق أن قلت إن هذه القصائد القصصية لا تنفصل فى أغلب الأحوال عن الغناء، وربما عن الرقص أيضا.. ولكننى لست شاعرا كبيرا ولا صغيرا لكى أعيد نظمها فى لغتى وأحافظ على الأوزان الأصلية وأبتدع لها القوافى الملائمة - وحتى هذه المحاولة لا يضمن نجاحها ولو قُيِّض لها شاعر كبير فى لغته، لأنها تؤدى بالضرورة إلى التصرف الشديد فى ألفاظ الأصل ومعانيه وتراكيبه، ناهيك عن اضطرارها فى كثير من الأحيان للنظم الجاف المصطنع وبعدها الحتمى عن رنين الكلمات الأصلية وعذوبة الأوزان والقوافى المرتبطة بها. لذلك حاولت أن أنقلها إلى العربية بأسلوب يراعى روح الأصل ويعوض عن ضياع الإيقاعات والقوافى بقدر من الموسيقى الداخلية أو من السجع والتساوق الملائم فى نهايات السطور. وإذا كنت قد تصرفت تصرفا محدودا فى بعض هذه البالادات أو فى إعادة صياغة القليل منها، فإننى آمل - على كل حال - أن يتعاطف القارئ مع هذه «الكنوز»، وأن يشعر - ولو من بعيد - بجمالها وقيمتها إذا تحتم أن يغيب عنها بريق ذهبها وجواهرها، وأن يحس بشاعريتها التى أتمنى أن تعوضه قليلا عن «شعريتها» الضائعة..

٦ – وفى النهاية لا أستطيع أن أترك القلم قبل أن أعبر عن أمل آخر كبير، وهو أن يلتفت أدباؤنا وشعراؤنا، من الشباب بوجه خاص، إلى القصيدة القصصية، ويتابعوا بقدر الإمكان أفضل نماذجها سواء فى الأدب الألمانى أو فى غيره من آداب الشعوب كافة، لا سيما فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى وغيرهما من الآداب الغربية – وليس عندى أدنى شك فى أن أدباءنا وشعراءنا سيجدون فى القصيدة القصصية منبع إلهام صاف يمكن أن يساعدهم على الاغتراف من منابعهم التراثية الخاصة ومن أدبهم الشعبى الغنى بالكنوز. وربما حفزهم أيضا على شق طرق جديدة تعطى للقصيدة القصصية والدرامية فى أدبنا العربى الحديث ما تستحقه من حب وعناية واهتمام، وتضيف إلى نماذجها الرائعة والنادرة عند بعض رواد شعرنا الجديد نماذج أخرى لأدباء وشعراء أحدث منهم سنا وربما أكثر جرأة وإقداما على المغامرة فى خوض بحار المجهول الساحر الذى نسميه الإبداع..

أحمده سبحانه على عونه وتوفيقه، وأستغفره وأسأله الصفح عن القصور والتقصير، إليه ترجع الأمور، وإليه المصير...

القاهرة فى ديسمبر ٢٠٠٣

عبد الغفار مكاوى

الهوامش :

(١) تأتى كلمة «البالاد» من الكلمة الإيطالية «باللاتا» والبروفنسالية «بالادا» وتطلق فى البلاد الرومانية منذ القرن الثانى عشر على الأغنية المصحوبة بالرقص وذات القافية المتكررة. وانتقلت الكلمة - التى تطورت فى فرنسا القرن الخامس عشر إلى شكل فنى محكم - إلى ألمانيا فى القرن السادس عشر حيث دل معناها على الأغنية الراقصة، ثم انتقلت الكلمة من الفرنسية إلى الإنجليزية حيث أصبحت تطلق منذ القرن الثامن عشر على الأغانى الشعبية القصصية. وأخذ بعض الشعراء الألمان - مثل بيرجر (١٧٤٧ - ١٧٩٤) وهولتى (١٧٤٨ - ١٧٧٦) - الكلمة بهذا المعنى الأخير فى بالاداتهم المتأثرة بالأغنيات الشعبية الإنجليزية تأثرا كبيرا، بحيث اشتمل المصطلح على البالاد الشعبى والفنى معا. وقد اعتبرت البالاد حتى القرن التاسع عشر مرادفة للرومانسة (التى سمى بها الكاتب والمترجم أوجست شليجل بالادة جوته الشهيرة «ملك العفاريت»، التى تفتتح بها - مع شىء من التصرف - هذه المجموعة التى بين يديك) ومع مرور الزمن ارتبطت الرومانسة بالموضوعات والأجواء «الجنوبية»، بينما ارتبطت البالاد بالموضوعات والأجواء «الشمالية» التى تتسم بالطابع المأساوى أو القدرى المعتم.

وقد ارتبطت بدايات «البالاد» الفنية فى ألمانيا باسم الشاعر جلايم (١٧١٩ - ١٨٠٣) والشاعرين هولتى وبيرجر اللذين سبق ذكرهما، واعتبرت بالادة الأخير، وهى ليونورا، أنموذجا لهذا النوع الشعرى. بيد أن العامل الأقوى فى تطور البالاد يرجع إلى تأثير مجموعة بيرسى (التى تتكون من أغان وقصص شعرية ترجع للقرن الخامس عشر) بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الأغنيات

الشعبية الإنجليزية والإسكتلندية (١٧٦٠) التي نسبها مكفرسون إلى مغن خرافي جوال يحمل اسم «أوسيان» وقد ثبت بعد ذلك بعشرات السنين أنها منتحلة وغير أصيلة. أثرت المجموعتان تأثيرا هائلا على الشعر الأوروبي بعامة، إذ اعتبرا سجلا حيا للأدب الشعبي الأصيل. وسارع الأديب وفيلسوف التاريخ «هيردر» فكتب في سنة ١٧٧٣ عددا من الرسائل عن أوسيان وأغاني الشعوب القديمة، فضلا عن كتابة بعض التأملات النظرية حول المجموعتين لتأييد دعوته لإحياء الأدب والأغاني الشعبية واستلهام نماذجها الأصيلة عند الشعوب الشرقية والغربية. وتأثر به جوته الشاب فسجل - في أثناء دراسته في إستراسبورج وبتوجيه هيردر نفسه ورعايته - نصوص عشر بالادات مع ألحانها الموسيقية من منطقة الإلزاس، وأصبحت هذه النصوص بمثابة النصوص التي تحتذى للبالاد من حيث لغتها وبساطة أسلوبها وبناء مقطوعاتها وقوافيها وغلبة الأجواء الغيبية الغامضة عليها، مع النزعات العاطفية وظواهر الأرواح الخفية والقوى القدرية والعلوية التي نشرت ظلالها عليها وعلى البدايات الأولى لفن البالاد..

وغني عن الذكر أن «البالادة» كانت وما تزال متعددة الأنواع وقابلة للتطور والتغير مع تطور وتغير السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي، فهناك بالادة القدر، والبالادة الطبيعية السحرية، وبالادة القوى الغيبية الغامضة، وكلها متأثر بروح البلاد الشمالية بضبابها وعتمتها ورعبها. وهناك بالادة النقد الاجتماعي التي تأثرت إلى حد كبير ببالادات الشاعر الفرنسي الشريد فرانسوافيون (١٤٣١ - ١٤٦٣) واتصل إنتاجها منذ هيني (١٧٩٧ - ١٨٥٦) وأولاند (١٧٨٧ - ١٨٦٢) وشاميسو (١٧٨١ - ١٨٣٨) إلى بريشت وأتباعه ومقلديه الذين وظفوا البالادة توظيفا سياسيا ونقديا واضحا للدعوة لتغيير الواقع والثورة على الأوضاع الاجتماعية الفاسدة والعلاقات السياسية القائمة في أثناء الحرب

العالمية الأولى وفى ظل النازية (راجع على سبيل المثال فى هذه المجموعة حكاية الجندى الميت لبريشت و«أجراس إيرفورت» لفيرتيل، و«عرس فى حقل القمح» لتسيمرنج، و«أم ألمانية» لفاينرت.. وغيرها).. راجع كتاب البالادات الكبير، خلال ثلاثة قرون من الأدب الألمانى، نشره ك. هـ. بيرجر وف. بيشيل - برلين ، دار نشر الحياة الجددة، ١٩٦٥.

Bas grosse Balladenbuch, Hrsg von K. H. Berger & cw. Puschel, Berlin, Neues Leben, 1965

(2)Moritat - Bankelsang

(٣) اشترك برنتانو مع صديقه فون آرنيم فى جمع وإعادة صياغة عدد كبير من نصوص البالادات الشعبية فى مجموعتهما الشهيرة والبالغة الأهمية: «بوق الصبى العجيب» (من ١٨٠٠ - إلى ١٨٠٦)، ولكن غلبة الصنعة الشكلية والتركيز على موسيقى اللغة أبعدا هذا القصائد إلى حد كبير عن الروح الشعبية الأصيلة بما تنطوى عليه من قدرية وعفوية وتكرار وتعتيم وقفزات مفاجئة - وما قيل هنا عن برنتانو يمكن أن يصدق أيضا على بالادات «أولادن» و«هينى» اللذين سبق ذكرهما، وتتميز قصائدهما بقدر كبير من الوعى الشكلى.. راجع: «أشكال الأدب، البالادة - نشرة أوتوكنوريش، شتوتجارت، الطبعة الثانية، ١٩٩١، ص ٣٢.

Formen der Literatur, Hrsg, von otto Knorrich - Stuttdart, Kroner, 1991, S. 32

١ - ساحرة من نهر الراين ..

ملك العفاريت

من هذا الذى يسرى فى الليل والبرد والريح؟

إنه الأب مع ولده المسكين.

بالأمس اشتعلت نار الحمى فى الجسد الصغير. لمسته كف الأم ومرَّت على الصدر والوجه والجبين.

صرخت من لسع الجمر المتقد وصاحت: ولدى! يا ولداه!

– خذه إلى المستشفى القريب. لا تنتظر الصبح لكى لا نندم، لا تبطئ حتى لا يذهب منا ويضيع!

لفته فى حزام من الصوف وغطته بالملاءة البيضاء.

ركب الأب حماره وحمل معه الولد العليل. احتضنه وضمه إلى صدره وعلى الكتف أراح الرأس المحموم.

– ولدى ! لم تخفى وجهك، مم تخاف؟

– أبى يا أبى ! ألا تراه يا أبى هناك؟

– من يا صغيرى؟ من هذا الذى تراه؟

– إنه يا أبى ملك العفاريت. يشير إلىَّ ويدعونى. على رأسه التـاج المرصَّع بالذهب واليـاقـوت .. ومن ظهـره يتـدلَّى الذيل الأسود الطويل.

– لا تخف يا ولدى. ما الشبح الذى تتخيله إلا غيمة من غيوم الضباب.

– أبى. إنه يقول لى : تعال .. تعـال معى يا ولدى الحـبيب ! سوف نلعب معا أجمل الألعاب. وسنجرى معا على الشط وحولنا الورود والأزهار. وأمى العـجوز سـتـهديك الثوب الذهبى الذى أعدته لهذا اللقاء.

– اهدأ يا ولدى! اهدأ!

– ألا تسـمـعـه يا أبى ؟ ألا تسـمـع همسـه فى أذنى بالكلام الحلو والوعود؟

– قلت اهدأ يا ولدى ! اهـدأ فالمستشفى يقترب. المستشفى غير بعيد.

– مـازال يلح يا أبى ويقـول: ألا تريد أن تـأتى مـعى يا ولدى الصـغير؟ إن بناتى اللطيفـات ينتظرنك يا ولدى من زمن طويل. سوف يرحبن بك ويستقبلنك كالأمير. وسيرقصن على شرفك ثم يهدهدنك ويضـعنك وسط الحلقة ويهللن ويهـتفن باسمك وبأعذب

لحن سيغنين.

– اهدأ يا حبة عيني. ليس ما تسمعه سوى أصوات الريح ترفرف فى أوراق الشجر الذابلة الصفراء!

– كيف لا تراهنَّ يا أبى؟ بنات ملك العفاريت هناك فى الأيك البعيد. فى ذلك المكان الساكن المعتم الكئيب؟

– ليس ما تراه يا ولدى سوى أغصان الصفصاف، تترنح فى البرد والليل والريح!

– اسمع يا أبى ! اسمع ما يقوله ملك العفاريت :

أحبك ! أحبك ويسحرنى وجهك الفاتن وشكلك البديع .. تعال معى تعال معى تعال ولا تكن الولد العنيد ! وإذا لم تطعنى فسوف أستخدم معك قوتى وبأسى الشديد .. آه !

إنه يمد يده إلىَّ ويمسك بخناقى بيد من حديد. آه ! أنقذنى يا أبى ! أحس فى صدرى وجنبى بالألم الشديد.

والأب أيضا أحس بالألم الشديد وداهمه الرعب المخيف. ضرب بعصاه الحمار العجوز الذى لم يكف عن لكزه طول الطريق. لف ذراعه حول الجسد الواهن المحترق وشده إلى صدره ليحميه من البرد والضباب والريح. ما هى إلا خطوات حتى لاح المبنى الأبيض كالوجه الطيب من بعيد.

وعندما وصل إلى البوابة الضخمة نزل من على الحمار الذى ربطه إلى حديد السور، وانطلق يجرى إلى الداخل ليسلم الولد للطبيب.

قلب هذا فى جسد الولد، تحسس جبينه، مال بجذعه وأحنى رأسه ووضع أذنه على صدره .. ثم رفع قامته ووضع يده على كتف الأب الفقير وهو يقول:

– مات الولد . الولد مات(*) .

(*) بشيء من التصرف عن «جوته».

لورا لاى

لا لست أدرى مـــا الذى جـــرى لى، ولا لماذا تتـــملك قلبى الأحـزان، لأن هذه الحكاية من سـالف العـصـر والأوان، لا تريد أبدا أبدا أن تغيب عن بالى...

فى بلدة تقع على نهر الراين اسمها باخـاراخ، كانت تعيش ساحرة فاتنة آسرة الجمال. لا تسل عن ضـحايا سحرها وفتنتها ولا عن القلوب التى حطمتـها ومزقتـها فربما كانت تعد بالمئات أو الآلاف.. اقتنع الناس - وهم فى رعب - بأن على يدهـا مصـارع الرجـال، وبأن القيود التى تأسـرهم بها عيناهـا وتوردهم موارد الهلاك، لا سبيل للخـلاص منها، وكيف السبيل من سـحر عينيـها إلى الخلاص أو الإنقاذ؟

بلغ خبر جمالها وما حصده منجله الناصع الفتاك إلى آذان الأسقف الكبير، فأصدر أمره باستدعائها للمثول أمام سلطة الكنيسة ومجمعها الخطير. لكن الأسقف - فيما يروى ويشاع -

انبهر بجمال الساحرة وكاد يفقد الوعي والشعور. لا ندرى ماذا قال لنفسه، لكننا سمعنا عما قاله لها فى تأثر شديد:

– أنت أيتها الخاطئة المسكينة، أنت يا لورا لاى ! من أغراك ومن أغواك بهذا السحر الشرير؟

قالت الساحرة الجميلة قاتلة الرجال ومحطمة قلوب العشاق:

– مولاى الأسقف! سيدى القسيس الكبير ! لقد تعبت من الحياة، تعبت من الحياة! أتوسل.. أبتهل إليك أن تأمر بموتى الآن وفى الحال، لأننى مادمت حية فسوف ينتهى كل من تقع عليه عيناى أو تقع عيناه علىَّ إلى الهلاك والضياع والبوار والخسران. وماذا أملك من حظى يا سيدى الأسقف الكبير ؟ هل أنا التى جعلت من عينىَّ جمرتين من النار واللهيب؟ أم أنا التى حوّلت ذراعى إلى عصا ساحر داهية ورهيب؟ أتوسل وأبتهل إليك يا مولاى، أن تأمر بإلقائى فى النار قبل فوات الأوان، وتكسر عصاى قبل أن تلتف ذراعى كالحية حول أعناق الرجال فى كل مكان.

– لن أمسك بسوء يا ابنتى ولن أستطيع أن ألعنك على الإطلاق، حتى تعترفى لى وتقولى يا لورا لاى، كيف أمكنك أن تقذفى بقلبى – وأنا رجل الله – فى قلب النيران، كيف يمكننى

أن أكسر عصاك فأكسر معها قلبى نصفين وأصبح كالمجانين والعشاق .. أعترف بأنى أكاد أصدق الآن ما بلغنى عنك من أخبار .. لكنى أرجو أن تعترفى أنت وتكشفى عن قلبك النقاب يا لورا لاى..

– لا تسخر منى يا سيدى القسيس الكبير فما أنا يا مولاى إلا ساحرة مسكينة، وادع ربك وربى الرحيم أن يغفر ذنوب خاطئة بغير ذنبها وملعونة.. تريدنى أن أعترف..

– أجل! أجل! كيف صعقت الملاح البائس بشعاع من عينيك وأنت على قمة جبل عال، وكيف ..

– وكيف اصطدمت مركبه بالصخرة فتحطمت المركب وتحطم معها الملاح؟ أو ليس كذلك ما ترويه الأغنية على ألسنة الملاحين والفلاحين، وتردده النسوة وعجائز تلك البلدة والشبان مع الأطفال .. مولاى.. تعبت من الأغنية ومن غناها ويغنيها صبح مساء .. ولهذا جئت إليك لتنفذ حكمك فىَّ وتأمر..

– ليس قبل أن تعترفى وتقولى .. ما حكاية هذا الملاح وماذا فعلت به يا لورا لاى؟

– صدقنى فالأمر بسيط يا مولاى .. وهو كما حدث بعيد عما يحكون. لم أذنب فيه – علم الله – ولم أقصد أن أؤذى الرجل المسكين..

– لكن شعاع الجمر بعينيك.. ماذا فعل اعترفى ! قولى !

– صدقنى لم يحدث هذا عن قصد، لم أجن عليه .. بل لم أعرف أن الرجل على مركبه يتأرجح فوق الموج الهادئ، بل لم أره ولا أطللت عليه .. كان الجو جميلا قبل الشفق ترف على الأنسام الرطبة وأنا أجلس فوق القمة، قمة جبل تلمع كالذهب وتتدفأ فى نور الشمس الغاربة المنحدرة خلف الأفق كما التفاحة فى غور الهاوية المعتم توشك أن تغرق. كان الراين هنالك من تحتى يتدفق ويسيل وديعا وحييا بالأمواج العذراء الرائعة الفتنة. وأنا العذراء الفاتنة هنالك فوق القمة، وأمشط شعرى الذهبى بمشط ذهبى، وحليى تلمع فى عنقى وعلى صدرى وبمعصمى وفى كفى تضىء الظلمة .. وكنت أغنى يا مولاى، أغنى للموج الناعم فى الأعماق وللنسمة والطير العابر والتفاحة تشحب حمرة خديها، تتصارع مع جيش الظلمة توشك أن تغرق فى العتمة. كانت أغنيتى رائعة اللحن كما يروون، جاشت بالنغم الآسر، صعدت للملإ الأعلى ثم انحدرت هابطة للأمواج تهدهدها بالترنيمة والإيقاع. ما ذنبى أنا والملاح العابر فى مركبه ينظر لى ويطيل النظر إلى القمة؟ ما ذنبى أن سحرته أشعة عينى الذهبية حتى اختبل، انشغل عن الخطر الداهم، وارتطم المركب بالصخر

الوعر فحطمه وتحطم معه وغاصا فى الأعماق المظلمة البشعة؟ ما ذنبى.. قل لى يا مولاى الأسقف ما ذنب عيون لم تره أصلا، وذراع لم تلتف على صدره؟ ما ذنبى إن كانت أغنيتى خلبته وأخذت منه اللب مع الوجدان فظل يصعد عينيه لأعلى، غفل عن المركب والدفة حتى اصطدم بتلك الصخرة وابتلعته الأمواج؟!

– حقا حقا .. لا ذنب عليك .. لا ذنب عليك..

– بل أنا مذنبة يا مولاى وذنبى أعظم من أن يغفر .. لهذا جئت إليك ورحت أبثك شكواى وأتوسل لك، أتوسل أن تطلب من فرسانك أن تقتلنى وتخلصنى من قدرى البائس والمخجل والمزرى..

– ولماذا المخجل والمزرى؟ هل ذنبك أنك ساحرة العينين وأن..

– أجل ذنبى ذنبى ! لم تكتف عيناى بتكبيل العشاق جميعا بخيوط السحر الكامن فى نظرتها، بل جعلته يهرب منى ويفر إلى البلد النائى ..

– من هذا؟ من هذا الهارب من سحرك قولى..

– هو حبى الأوحد فى الدنيا يا مولاى .. حول عينيه عنى .. غدر وخان.. ذهب إلى البلد النائى..

– خوفا من فتنتك وسحر عيونك.. مفهوم مفهوم.. ولهذا..

- لهذا جئت إليك الآن وكلى العزم مع التصميم.. أن تخرجني من دائرة السحر الملعون .. لفت تلك الدائرة ذراعيها حولي كالثعبان، وهأنا أتسمم وبنفس السم القاتل للعشرات وللعشرات من العشاق.. ربى يعلم أنى امرأة ساكنة ووديعة.. أن الكلمات إذا خرجت من شفتيَّ كذلك ساكنة ووديعة.. لا عينى أو كلماتى قصدت يوما أن تجرح أحدا دع عنك بأن تقتل أو تؤذى وتصيب الأفئدة بداء لا ينفع معه دواء.. أنا نفسى أتألم من جرحى يا مولاى الأسقف.. أرجوك ارحمنى من جرحى وارحم قلب العاشق والمجنون.. يكفى أنى أتألم، يشتد على الألم إذا عينى لمحت عينى فى المرآة... أتوسل لك أرجوك.. هبنى أن أستغرف وأكفر عن ذنبى فى حق الناس وفى حق حبيبى.. تعبت تعبت وما عاد لعيشى طعم فأْمر يا مولاى..

- بإلقائك فى النار كما قلت ؟ لا لا . بل ألقيك قريبا فى الدير لتعتكفى فيه كراهبة وتعدى نفسك لمغادرة الأرض إلى أحضان السيد كالعذراء الطاهرة بموكب أحباب الرب.. يا فرسان.. استدعو لى الفرسان هنا من قبل غروب الشمس.. هيا هيا استدعوا الفرسان..!

وحضر ثلاثة فرسان قبل مغيب الشمس. امتطوا صهوات جيادهم ومضوا إلى الدير ومعهم لورا لاى.

- يأيها الفرسان.. يأيها الفرسان.. أرجوكم أن تقفوا الآن.. دعونى أصعد تلك الصخرة فى هذا الجبل الوعر لألقى آخر نظرة.. وأطل على قصر حبيبى من تلك الصخرة..

- من تلك الصخرة؟ فى هذا الجبل الوعر المنحدر إلى هاوية الموت؟

- أجل! من تلك الصخرة يا فرسان.. دعونى ألقى آخر نظرة.. آخر ما تشهد عيناى من الدنيا هو قصر حبيبى الغائب.. ودعونى أيضا ألقى آخر نظرة، من فوق الصخرة، للموج المحبوب الناعم فى نهر الراين.. أرجوكم أبتهل إليكم يا فرسان.. قبل دخولى الدير لأصبح عذراء الرب القادر أن يغفر ذنبى وخطاياى ..

والصخرة عالية وعرة .. وجدار الصخرة ينحدر إلى الأعماق الخطرة. لكن الساحرة - بإذن من فرسان الرب الطيب - تتقدم منها، تتسلقها حتى تصل إلى قمتها وتطل على الوادى منها وعلى السهل القابع فى الأعماق .. بعدت هذى الساحرة عن العالم وارتفعت فوق الأرض وفوق جميع العشاق..

نظر الفرسان إليها.. حسدوها أو غاروا منها أو نقموا أن تفلت منهم فيكون نصيبهم القتل أو الطرد من النعمة والخذلان..

وربطوا جيادهم فى السهل وصمموا على الصعود إليها هناك

فوق القمة الخطرة العالية.. ها هم يتسلقون ويتسلقون، وهى هناك تطل على النهر الهادى المحبوب، على النهر الفاتن والمفتون.. وماذا ترى هناك فى الأسفل السحيق؟ قلبها يخفق وتشتد ضرباته وتسرع وتكاد تختلج مع الموج العميق. فهى تلمح سفينة صغيرة تتأرجح على الأمواج فتقول لنفسها: لابد أن حبيبى الغائب فيها.. لابد أن هذا الواقف هناك هو حبيبى الذى لم يكن ولن يكون لى سواه. هنالك تميل على الحافة، تحنى جذعها ورأسها وتلقى بنفسها من أعلى الصخرة إلى عمق الأعماق.

وماذا عن الفرسان الثلاثة؟ ماذا عن فرسان الرب الشجعان الأمجاد؟ يقال أنهم بعد أن صعدوا بشق الأنفس ووصلوا إلى القمة عجزوا تماما عن الهبوط . كان من نصيبهم أن يهلكوا هناك على القمة التى غادرتها الساحرة الفاتنة إلى الأعماق .. وهكذا كُتب عليهم أن يموتوا وحدهم هناك، يموتوا وحدهم بلا قسيس يناولونه الاعتراف الأخير، ولا مثوى فى قبر يضم الجسد الفانى والعظام.

هكذا انتهت الأغنية الغريبة العجيبة.. الأغنية التى ترنم بها ملاح يمخر بسفينته أو قاربه أمواج نهر الراين الهادئة الوديعة.

ثم أخذها عبر الأجيال من بعده ملاحون آخرون.. ودائما كان يتردد – فيما يحكى ويقال – من أعلى الصخرة المشهورة هذا النداء .. دائما ما كان يتردد فى سمع الملاحين والفلاحين على ضفاف الراين الحنون، ومن أعلى الصخرة التى عرفت بصخرة العذراء والفرسان الثلاثة، دائما ما كان يتردد هذا النداء:

لورا لاى ..

لورا لاى ..

لورا لاى(*) ..

(*) بتصرف عن كليمنس برنتانو

الولد الضائع فى المرج الشاسع

يرى الولد، فيما يرى النائم أنهم أرسلوه، ومعه ثلاثون «تالرا»(*) إلى المرج الشاسع البعيد، وأنه فى الحلم المرعب قد قتل على الطريق بسبب تلك النقود، مع أنه لم يكن يوما بالكسول ولا البليد.

وبينما هو غارق فى العرق والقلق الفظيع، هزه المعلم من نومه وأمره بارتداء ثيابه بغير إبطاء. سأله متعجبا عن سبب الفزع الذى أصابه، ثم وضع له النقود على الفراش فوق الغطاء.

– آه يا معلمى! يا معلمى! ورأيتك تضربنى بقسوة حتى أصبت بالإغماء، وكانت الشمس يا معلمى بلون الدم المسفوح فى كبد السماء!

– انفض عنك الأحلام الصبيانية وانهض على الفور يا غلام، فالشمس لا تبدو لك وحدك محمرة بل لكل الأنام، قم من نومك

(*) عملة ذهبية أو فضية قديمة منذ عهد لوثر (القرن السادس عشر). المترجم

أيها الكسول وإلا ضربتك بالسوط على رجليك كالبهائم والأغنام..

– رحماك يا معلمي! هذا ما كنت تقوله وتفعله على الدوام، وكم رأيت هذا على وجهك ، في نظرتك ، وفي نبرة الكلام ، وهأنت تمد ذراعك..

وقبل أن يكمل العبارة كانت العصا تنهال على اللحم والعظام..

– آه ! آه! سأذهب! سأذهب! ولكن يا معلمي الكبير، إذا سألت أمي عني فقل لها ابنك يقول لك الوداع، وحتى لا تتوه مع الرياح الأربع في كل اتجاه وتخاف، قل لها يا معلمي إنها ستجدني هناك، هناك في المرج تحت شجرة الصفصاف..

خرج الولد من المدينة فاستقبلته الأعاصير والرياح، وامتد أمامه المرج الشاسع الملفوف في الضباب والمسكون بالأشباح والأرواح.

آه ! تكاد الريح تقذفني في الهواء، والخطوة في هذا المرج المخيف كأنها آلاف الخطوات! .. وكل شيء ساكن من حولي، كل شيء صامت أخرس تحت السماء، وعبثًا أحس أو أرى أو أشعر بأنفاس أحد الأحياء، فلا شيء في هذا التيه إلا الطيور الجائعة كالغيلان، تنقض من أعلى على فرائسها من الحشرات والديدان...

ويصل الولد إلى بيت وحيد يبدو كالكوخ المهجور. وبينما هو يقترب منه إذ يظهر على بابه راع فقير، يخفق قلب الولد من

الرعب وتعلو دقاته فتشل خطاه ويقف فى مكانه كالشحاذ الكسير:

– أيها الراعى الطيب، تبدو على وجهك التقوى والصلاح.. لقد ادخرت من مصروفى القليل أربعة قروش، فأُمر يا سيدى الراعى خادمك الأمين، أن يصحبنى حتى القرية القريبة ويدلنى على الطريق. سأعطيه يا سيدى الراعى أربعة قروش، يمكنه أن ينفقها يوم الأحد على كأس من البيرة أو من النبيذ.. سأعطيه هذه القروش التى تثقل علىَّ بالهم والوسواس، فقد رأيت فى المنام أننى أقتل بسببها وتخمد منى الأنفاس...

أشار الراعى إلى خادمه القوى الطويل، الذى خبر دروب المرج وطرق فيه كل سبيل.. وظهر الخادم على الباب فارتعب الولد المسكين، الوجه جهم غليظ، والشر يلمع فى العين ويبدو على الملامح والجبين .

– أيها المعلم، أيها الراعى ! سامحنى لا لا لا ! الأفضل أن أمضى وحدى بغير رفيق ولا دليل!

ضحك الخادم الطويل وقالت نظرته الساخرة للراعى العجوز:

– يريد أن يحتفظ لنفسه بالقروش هذا الولد البخيل..

– ها هى ذى القروش الثلاثة!

رمى الولد القروش ولم يدر إن كانت قد وقعت تحت قدمى الراعى الطيب أو تلقفتها يد الخادم المتجهم الطويل. فقد انطلق مسرعًا زائغ البصر مبلبل الخاطر والبال، وسرعان ما تبدت أمامه شجرة الصفصاف من بعيد، وما درى بأن السائر خلف ظهره هو الخادم العنيد. رنَّ الصوت الوحشى وراءه: أنت يا ولد لا تحتمل مشقة الطريق، لا تنس أنك طفل ولا تستغنى عن الصاحب والرفيق .. آه لا تسرع فى خطواتك، تأنَّ ففى التأنى السلامة، وإذا كانت النقود ثقيلة عليك فتعال هنا ولا تخف، تعال نسترح معا تحت الشجرة، شجرة الصفصاف. واحك يا ولدى عن ذلك الكابوس البشع الفظيع .. فربما أكون أنا أيضا قد رأيت مثل هذا الكابوس المريع! والتقت أحلامنا السوداء كما نلتقى الآن فى هذا المرج الشاسع البديع..

مد الخادم ذراعه وضغط على يد الولد ضغطة ثقيلة صارمة، وارتج على الولد فلم يُبْدِ أى مقاومة. هناك راحت أوراق الأشجار تهمس فى الريح بصوت كالأنين، والجدول تتدفق فى صمت وهدوء قطرات مائه الحزين!

– قل لى يا ولدى. تقول إنك حلمت حلما فظيعا. ما الذى رأيت فى الحلم؟

– حلمت برجل يتقدم منى. رجل جهم الوجه غزير الشعر الطويل.

– هل كنت أنا هذا الرجل ؟ انظر لى وتمعن فىَّ !

أحسب أني هذا الرجل وأنك لم تر أحداً غيرى .. أو ليس كذلك؟ قل لى ماذا حدث؟ تكلم ! ماذا حدث بهذا الحلم ..

– سحب الرجل السكين!

– هل كانت تشبه هذى السكين؟

– أجل ! هى هى ! هى نفس السكين !

– أمسكها فى قبضته ..

ثم طعن !

– طعنك فى الرقبة ؟ أو ليس كذلك ؟

– آه ! ما جدوى أن أتعذب وأعذبك بكلماتى.. ما الجدوى من أن ... هيا خذها الآن !

وتسألون ما الذى جرى وما الذى حدث؟ إذن فلا توجهوا السؤال لى بل إلى الغراب والحمامة، كانا هناك يا قارئى الكريم، شاهدا وشهدا على الحكاية. أما الغراب من موقعه على ذرى الصفصافة.. فقد رأت عيناه واستخفه النعيق والسرور والفرح. وخافت الحمامة الحنون، أطلقت هديلها وانطلقت مع الرياح

للسماء. وبقى الغراب ينعى ذلك الشرير يحكى عما اقترفت يداه، وكيف أقبل الجلاد بعدما شم روائح الجريمة.. وراحت الحمامة الأليفة البيضاء، تروى لكل من يسمع قصة الصبئ البائس المسكين، وكيف راح يطلق الصياح والصلاة والرجاء والبكاء، ولم يزل ليومنا هذا يواصل البكاء (*)..

(*) بتصرف عن فريدريش هيبيل.

الباحث عن كنز

فقيرا فى الجيب، مريضا فى القلب..

رحت أجر ورائى أيامى المظلمة المملولة والملعونة..

رأيت أن الفقر أعظم المصائب،

والجاه والثراء أعظم النعم..

ولكى أضع حدا لهمومى وآلامى السقيمة، رحت أبحث عن كنز تحدثت عنه الكتب النادرة القديمة، يا نفسى! آه يا نفسى! لابد أن تحصلى على هذا الكنز! ولتعلمى أننى راهنت بدمى على تحقيق هذا الفوز!

وهكذا انطلقتُ إلى المكان المعلوم، وأخذت أرسم دوائر حول دوائر تتسع وتتقاطع وتتعانق، وأشعلت النيران التى حولت الأرض إلى سماء تتوهج بالنجوم الساطعة وتنذر بالبروق الصاعقة. لم أنس أن ألقم النار بالأعشاب الشهيرة الموصوفة، وأن أغذى وقودها بعظام الموتى اليابسة المخيفة. وبدأت أتلو

تعاويذى المحفوظة، وأهيب بالشياطين الفظيعة والأرواح الرقيقة والغليظة. ثم شرعت أحفر فى الموقع المحدد المحدود، وأنا واثق بالعثور على الكنز العتيد التليد .. آه ما أبشعها من ظلمة! الليلة كانت عاصفة سوداء..

وفجأة لاح نور يخفق ويبرق من بعيد، كأنه نجم أو كوكب سعيد، وتزامن هذا مع دقات الساعة منتصف الليل. هنالك أخذت على غِرة، وأشرق الضوء الساطع من كأس كالدرة، يحملها فى يده صبى فاتن الجمال على جبينه غُرة.

أبصرت أمامى عينين ببريق خاطف اللمعان، تحت تاج مرصع بالزهور التى تسطع ألوانها كالياقوت والمرجان. وعلى الضوء السماوى الساطع للشراب، دلف الصبى إلى الدائرة التى كنت أحفر فيها بالظفر والناب. ابتسم وحيانى ودعانى أن أشرب باطمئنان. قلت لنفسى: يستحيل أن يكون هذا الصبى من نسل الشيطان، مادام يقدم لى هذه الهدية الرائعة التى تستحق العرفان والامتنان:

– اشرب وتذوق شجاعة الحياة الصافية! عندئذ تفهم سر الموعظة الغالية، وتقلع عن تعاويذ الشر وتهاويل البهتان، ولا تفكر أبدا فى الرجوع إلى هذا المكان. كف عن الحفر هنا وتوقف عن

هذا العمل الباطل، اجعل يومك للعمل المثمر والشاق، واجعل ليلك للسمر مع الأضياف وللبهجة والأشواق! اقض أسابيع العمر مع الكد المر! واترك نفسك للمتعة.. فى الأعياد وللمرح الحر! ولتصبح كلماتى فى المستقبل هى تعويذتك، وحكمتك، وكلمتك السحرية (*)!

(*) بتصرف عن يوهان فولفجانج جوته.

صياد بجبال الألب

– ألا تريد يا ولدى أن ترعى الأغنام؟ الأغنام الهادئة الطيبة التى تعيش على الأعشاب، وتمرح لاعبة على شط الغدير؟

– أمى، أمى دعينى.. أمضى يا أمى للصيد، هنالك فوق أعالى جبل الألب.

– ألا تحب يا ولدى أن تجذب القطيع الصغير، ليسير وراءك على أنغام البوق المرح وألحان النفير؟ فترن الأجراس بصوتها المحبوب، وتندمج مع غناء الغابة العجيب؟

– أمى، أمى، قلت لك دعينى أسرح وأهيم، فوق أعالى الجبل الموحشة هناك.

– ألا يعجبك يا ولدى أن تتعهد الأزهار اللطيفة التى تنمو وتزدهر فى أحواض الزهور؟ هناك لن تجد البستان ولا الحديقة التى ترحب بك وتدعوك، فما أفظع الوحشة فى الأعالى المقفرة الجدباء.

– اتركى الزهور فى حالها لتنمو وتزدهر فى سكون، ودعينى يا أمى أذهب إلى قمة الجبل المكين.

وانطلق الصبى فى رحلة الصيد كما أراد، وقلبه يجيش بالرغبة والقلق والاندفاع الجسور، نحو البقعة المقفرة التى يرتفع فيها الجبل الموحش المهول. مرت أمامه بسرعة أشد من سرعة الريح، غزالة تعدو هاربة مرتعشة بعد أن لمحت ظله النحيل. راحت تتسلق أضلاع الصخر العارية كأنها تسبح أو تطير، وما إن لمحت شقا فى الحجر المتصدع حتى قفزت تختبئ فيه. لكن الصبى النزق الجرىء كان يتبعها وفى يده قوس الموت الوشيك. ها هى ذى فوق الحافة تتعلق بنتوء فى أقصى الطرف الحاد، تتلفت حولها وتحتها فلا ترى من درب أو سبيل ، بل صخور منحدرة فى عمق الهاوية السحيق، وتنظر خلفها ولا تلمح سوى العدو المتربص بها من قريب. إنها ترسل نظرات الرعب الخرساء، وتبتهل وتتوسل لصبى قاسى الفؤاد، لكن تتوسل عبثا إذ ها هو يضع يديه على القوس ويدخل فيه النبل الفتاك..

وفجأة ينشق الصدع الأسود فى الجبل الأجرد عن روح طيب، ويتقدم منها عجوز الجبل ليهدئ من روعها، ويمر بيده الإلهية على ظهر الحيوان المعذب ثم ينادى بأعلى صوت:

– أحُـتِّم عليك أن تجلب الموت والرعب إلى هـذا المرتفـع الذى أعيش فيـه؟ إن الأرض تتسـع للجـميـع، فلماذا تصـر على مطاردة هذا الغزال البرىء وملاحقة قطيعى؟!(*)

(*) بتصرف عن فريدريش شيللر.

لعبة العمالقة

قلعة «نيديك» فى منطقة الإلزاس اسم ذاع صيته فى الحكايات والأساطير، واشتهر برجه العالى الذى كان يعيش فيه العمالقة قبل أزمان وأزمان. لقد سقط البرج العالى وانهار، وآلت القلعة اليوم إلى الخراب والوحشة والبوار. ولو سألت عن العمالقة فلن تعثر لهم على أثر وسط الأنقاض.

ذات يوم خرجت طفلة من نسل العمالقة من القلعة لتلعب أمام الباب، ودفعها الفضول لأن تهبط المنحدر إلى الوادى البعيد، إذ تاقت نفسها لمعرفة ما يجرى هناك فى الأعماق.

قطعت خطوات قليلة وسريعة لتجد نفسها قد عبرت الغابة، وسرعان ما بلغت الأرض التى يعيش فيها البشر. والمدن والقرى والحقول المزروعة بدت لعينيها من عالم غريب.

وبينما هى تطل تحت قدميها متطلعة لما تراه هناك، وقع بصرها على فلاح يعمل فى حقله الصغير. كان الكائن الصغير

منكبا على عمله الشاق العجيب، ومحراثه يلمع تحت وهج الشمس ويسطع بضوء غريب.

هتفت صائحة : «ياه! يا لها من لعبة طريفة! سأحملها وأعود بها إلى البيت!». ثم انحنت بسرعة وبسطت منديلها على الأرض وكنست بيديها كل ما كان يتحرك هناك، وكومت ما جمعته وطوته فى منديلها الصغير. وأخذت تقفز بسرعة وهى تهلل بالفرح على عادة الأطفال، ودخلت القلعة وانطلقت في لهفة تبحث عن أبيها فى كل مكان:

– أبى، أبى الحبيب، أترى هذه اللعبة البديعة العجيبة؟ لم يسبق لى أن رأيت مثلها فى قلعتنا عالية الأبواب والأسوار..

كان العجوز يجلس إلى المائدة ويحتسى كأسا من النبيذ، نظر إلى ابنته فى هدوء وسألها فى حنان: « ما هذا الشىء المثير الذى تطوينه فى منديلك اللطيف؟ أراك تتقافزين يا ابنتى من الفرح فدعينى أنظر ما تحملين».

نشرت الطفلة منديلها الصغير وبدأت تصفُّ على المائدة كل ما احتواه: الفلاح والمحراث والحصان الذى كان يجر المحراث. راحت تضع كلا منها فى مكانه وهى تصفق بيديها وتثب إلى أعلى وتهلل بالفرح والصياح..

تجهم وجه الأب واكفهرت ملامحه، هز رأسه فى هدوء ثم قال:

- ما الذى فعلته يا ابنتى! ليست هذه لعبة على الإطلاق ! هيا احمليها يا ابنتى على الفور وأعيديها إلى الموضع الذى أخذتها منه. هيا يا ابنتى فليس الفلاح لعبة ولا أدرى كيف خطر لك هذا على بال.. هيا نفذى الأمر بلا تردد أو إبطاء.. فلولا الفلاح يا ابنتى ما عرفت الخبز الذى تأكلين كل صباح ومساء. هل غاب عنك أن نسل العمالقة من صلب الفلاحين؟ .. لا ليس الفلاح لعبة يا ابنتى، وليحمنا الله من شر هذه الأفكار..

فى منطقة الإلزاس ذاع اسم قلعة «نيديك» ورددته الأساطير والحكايات. واشتهر برجها العالى الذى سكنه العمالقة فى سالف العصر والأوان. لقد سقط البرج العالى وانهار، وآلت القلعة فى أيامنا إلى الوحشة والخراب والبوار. ولو سألت عن العمالقة لما عثرت لهم على أى أثر وسط الخرائب والأنقاض (*)..

(*) عن أدالبير فون شاميسو.

صبي الساحر

- آخيرا غادر المعلم والساحر الخطير. صرت وحدى وخلا عليَّ البيت الكبير. سأجعل أرواحه وعفاريته طوع إرادتي، وآمرها بأن تتصرف كما أحب وأشاء. حقا أنا صبيه الذى يتعلم على يديه، لكنني سمعت كلماته وراقبت حركاته وسكناته وعاداته، وبقوتي وعزمي سأفعل الآن ما أريد، وأحقق مثله العجائب والمعجزات.

- أيتها المياه ! أيتها المياه! / تدفقي تدفقي!/ وانطلقي وأغرقي!/ البيت والفناء/ والبهو والحديقة / وليهدر الطوفان / من داخل الحمام / وينتهي إليه / ولتغمر الدلاء / الزرع والبناء / بالماء ثم الماء / تصبه عليه/ والويل كل الويل / حين يفيض السيل / لمن يسد طريقه، أو ينكر الحقيقة.. / تدفقي وفوري/ وانطلقي وثوري / أيتها المياه ! / أيتها المياه!

- وأنت أيتها المكنسة القديمة ! هيا تعالى والعبي لعبتك

الحميمة! .. هيا ارتدى أسمالك البالية السقيمة، قد كنت دائما خادمة مطيعة، فامتثلي لأمرى الآن، حققى إرادتى ورغبتى الفظيعة.. قفى على رجليك، وارفعى الرأس لأعلى، واحملى الوعاء فوقه ممتلئا بالماء ! هيا اذهبى وعودى، عودى واذهبى دون تلكؤ ولا إبطاء ! تحركى ! تحركى أيتها المكنسة القديمة الجمقاء !

– تدفقى تدفقى / أيتها المياه / انطلقى وأغرقى / البيت والفناء / والبهو والحديقة / تدفقى وفورى / وانطلقى وثورى / أيتها المياه ! أيتها المياه..

ها هى المكنسة تنحدر هابطة إلى شاطئ النهر، حقا! بل ها هى تملأ الوعاء وترجع مسرعة كالبرق، ثم تصل إلى هنا وتصب سيول الماء مرة بعد مرة بعد مرة حتى يفيض الحوض وتمتلئ الجرار والقدور، والأوعية والأطباق والصحون، وتدفق من أفواهها الماء بعد الماء...

– كفى ! كفى! / توقفى توقفى! / أيتها المكنسة المجنونة! / أيتها المكنسة الملعونة!

– لقد فعلت ما استطعت / أعطيت فوق ما انتظرت منك / شكرا ثم شكرا لك / لكن توقفى الآن توقفى توقفى ! أوشكت

المياه أن تسيل كالطوفان، / وتغرق النبات والجماد والإنسان، / قلت توقفى / لماذا تُمعنين فى العصيان؟ يا أنت يا نسل الجحيم أقلعى عن غيك الشنيع، عودى كما كنت وأعطينى الأمان / أواه ما الذى فعلته وما الذى لازلت تفعلين / وكيف أوقف المياه عند حدها وأتقى أذى السيل اللعين...

- ويلى ! يا ويلى نسيت الكلمة! الكلمة التى ستوقف المكنسة الملعونة / الكلمة التى توقفها فورا إذا أخرجها من فمه المعلم الحكيم / ويلى أنا الغبى والملعون يا ويلى نسيت الكلمة ! الكلمة التى ترجعها كما كانت وتمنع المصيبة / توقفى ! قلت توقفى أيتها المكنسة الرهيبة !

- لا لن أطيق هذا ! لن أطيق أن يغمرنى التيار / ويغمر السلم والحجرة والبهو وكل ما فى الدار / لن أطيق هذه الكارثة الفظيعة / لابد أن أمسكها المكنسةَ المجنونة الخليعة / ويلى يا ويلى ماذا قد جرى؟ / قد غمر السيل المكان واستبد وطغى، هل أترك البيت يضيع كالفريسة ؟ / لهذه المكنسة الخسيسة؟ / قفى قفى ، توقفى أيتها الدسيسة ! هيا ارجعى كما كنت وأوقفى لعبتك الحقيرة / الماء فاض، أغرق الأعتاب، وحطم الدولاب، جرف الأبواب هدد السقوف والرفوف والحظيرة .

- مازلت لا تريدين أن تقفي عند حدك. إذا فلابد من الإمساك بك مهما كان الثمن. سألقى بنفسى عليك وأشطرك نصفين. ها هى البلطة فى يدى ولن تهربى من مصير المارقين. ها هى ذى تعود وفوقها الوعاء يترنح ويدلق الماء. انتظرى أيتها الروح الجاحدة فسوف تركعين الآن وتندمين. ها هى ذى الضربة تقصم ظهرك الملعون، تقطع خشبتك المهترئة بحدها المسنون .. انشطرت إلى نصفين وأستطيع الآن أن أتنفس وأستريح من القلق والجنون ..

- ويلى ، ويلى / الشطران يقومان الآن من الأرض / يسابق أحدهما الآخر / ويحث الخطو إلى النهر ويمضى بالقدر الملآن! آه أيتها الأرواح العلوية ! كونى فى عونى، / لا تذرينى وحدى / لا تدعينى أهلك وأموت وأغرق كالفأر السكران / ويهلك معى البيت مع الأغنام مع الجيران...

وتواصل المكنسة - التى أصبحت مكنستين - لعبتها السخيفة. ويبتل كل شيء وتطمره المياه : القاعة والأعمدة والسلالم والحجرات والشرفات .

- آه ويلى من هذا السيل المرعب!/ تعب القلب فأقبل، أقبل يا سيدى الساحر والراعى والأب ! / اسمع صوتى، أدركنى،

سامحني واغفر لى هذا الذنب ! المحنة .. يا من علمت صبيك.. قاسية مرة / أنقذنى وأنا أعدك أن لا أفعلها أبدا، أعدك هذى آخر مرة / زيَّن لى الطيش الأحمق أن أدعو الأرواح فلبت وإذا البيت يصير بحيرة، لكنى حين رأيت الخطر الداهم حاولت وحاولت لكى أصرفها / واستعصى الأمر علىَّ ولم أعرف سره.. ونسيت الكلمة وانقلب السحر على الساحر كاد يكلفه عمره / أدركنى يا سيدى ومولاى / أُقر بجهلى ورعونتى وهذى هى آخر مرة .

وجاء المعلم الساحر العجوز فهتف على الفور :

- أيتها المكنسة اللطيفة، / هيا إلى الزاوية الأليفة، / عودى إلى الركن الحبيب عودى / وعندما يدعوك صوت غير صوت الساحر العجوز فاصمتى لا تسمعى للوعد والوعيد / قولى له : السر لا يعرفه الصبى / بل يعلمه المعلم الذى علمنى، الذى ألزمنى حدودى (*) .

(*) بتصرف عن يوهان فولفانج جوته .

٢ - الحب الصادق وحَّد بينهما ..

ابنة صاحبة الفندق

كان ثلاثة فتيان يتمشون على شط الراين الهادئ الوديع.

بحثوا عن مكان يستريحون فيه ثم رأوا أمامهم الفندق الصغير.

طرقوا الباب ففتحت صاحبة الفندق.

- أيتها السيدة المحترمة، هل لديك بيرة ونبيذ؟ وابنتك الساحرة الجمال، أين هى الآن ؟

- عندى بيرة طازجة ونبيذ صاف، أما ابنتى فهى فى الحجرة المجاورة ترقد فى التابوت..

اتجهوا ناحية الحجرة وفتحوا الباب. وجدوا الفتاة ممددة داخل تابوت يغلفه السواد.

تقدم الفتى الأول ورفع عن وجهها النقاب، ثم أخذ يتأملها بنظراته الحزينة.

- آه لو كنت الآن حية، أيتها الفتاة فاتنة الجمال! إذاً لأحببتك على الفور من كل قلبى وبدءا من اللحظة والآن.

وأقبل الفتى الثانى على التابوت ومد يده فغطى وجه الفتاة بالنقاب، ارتد إلى الوراء قليلا ثم راح جسده يرتج من البكاء:

– آه ! ما أقسى أن أجدك راقدة في هذا التابوت!... كم أحببتك ورعيت عهودك عدة سنوات.

واندفع الفتى الثالث نحو التابوت فرفع النقاب عن الوجه الشاحب الحزين، وانحنى على الفتاة وقبل الفم الذابل وهو ينتفض من البكاء والأنين :

– أما أنا فأحببتك دائمًا ومازلت أحبك وسوف أظل أحبك للأبد (*) ..

(*) عن لودفيج أولاند.

القفاز

جلس الملك «فرانز» أمام حديقته التى تحبس بين أسوارها وفى أقفاصها الأسود، منتظرا بداية الصراع بين الوحوش بعضها وبعض وبين الوحوش والإنسان.

اتخذ كبار رجال البلاط أماكنهم من حوله، أما كرائم السيدات فجلسن فى الشرفة العالية وقد تألقت زينتهن، وسطعت حليهن، ووضعت على رءوسهن أكاليل الزهور.

لم يكد الملك يعطى الإشارة من إصبعه حتى انفتح أحد أبواب الحلبة الواسعة، ودخل منها أسد يمشى بخطى ثقيلة متأنية ويتلفت حوله بنظرات متوانية صماء. فتح فمه على اتساعه وأخذ يتثاءب ويهز عرفه الأشقر المتهدل على رأسه، ثم تمطع قليلاً قبل أن يتمدد على الأرض ويستريح.

عاد الملك يشير بإصبعه فانفتح على الفور باب ثان، خرج منه نمر ضخم أخذ يقفز قفزات وحشية خاطفة. ولم يكد يرى الأسد الراقد أمامه حتى دوت زمجرته العالية، وأخذ يضرب الأرض

بذيله ذات اليمين وذات اليسار، ثم بدأ يلف فى دائرة بعيدة عن الأسد وقد تدلى لسانه وراح يلعق به شفتيه قبل أن يتمطى على الأرض وهو يدمدم بصوت متحشرج مكتوم.

وأشار الملك بإصبعه من جديد فأفلت من الباب المزدوج فهدان مخيفان مرة واحدة. اندفعا بكل ما فيهما من شهوة العراك وشراسة النزال نحو النمر الممدد على الأرض، فلم يكن منه إلا أن صدهما بمخلبيه الأماميين، بينما نهض الأسد واقفا وهو يزأر فساد الهدوء وخيم السكون على الجميع.. وهكذا رقدت القطط الوحشية المرعبة، والتأم شملها فى شبه دائرة تتصاعد من داخلها روائح التحفز للقتل والقتال..

فوجئ الجميع بقفاز ألقت به من فرجة فى الشرفة إحدى الأيدى الجميلة، ورأوه وهو يسقط وسط الدائرة التى تضم الأسد والنمر والفهدين. وترامى إليهم صوت تبين لهم أنه صوت الحسناء «كونيجوند» التى لاحظوا أنها تميل برأسها ناحية الفارس «ديلورجس» وتقول له بنغمة مرحة ساخرة :

- أيها الفارس ! إن كان حبك هو الحب الصادق الحار كما تؤكد لى كل يوم وكل ساعة، فأثبت لى ذلك بأن تُرجِع القفاز الذى سقط من يدى.

نهض الفارس فورا على قدميه وأسرع بالنزول إلى الحلبة المخيفة بخطوات راسخة ثابتة .. وتقدم من الدائرة المرعبة فالتقط القفاز بإصبعه الجسور فى لمحة خاطفة..

ارتسم الذعر والذهول على وجوه الفرسان والكبراء والحسان النبيلات وهم يتابعون المشهد لاهثين مضطربين. وعندما أقبل الفارس ومعه القفاز الذى أرجعه للحسناء رددت كل الألسن ولهجت كل الأصوات بآيات التمجيد والثناء، وعبَّرت كل النظرات التى تركزت عليه عن الإعجاب والإكبار. لكن نظرة الحسناء «كونيجوند» تميزت عن سائر النظرات، إذ كانت مفعمة بالحب والحنان غنية بالوعود والمواعيد.

أما الفارس نفسه فقد رمى القفاز فى وجهها وهو يقول :

– وفرى الشكر يا سيدتى فأنا فى غنى عنه..

وانطلق مغادرا المكان فى نفس اللحظة(*)...

(*) عن فريدريش شيللر.

أنثى

ربط الحب قلبيهما برباط وثيق، أما هى فأنثى ماكرة لعوب، وأما هو فلص قاتل ووغد زنيم. وفى كل ليلة يرجع إليها من مغامراته الإجرامية، كانت تلقى بنفسها على السرير وتنخرط فى نوبة من الضحك الشديد..

كانا يمضيان نهار اليوم بين اللذة والسرور، وفى المساء كانت ترقد واضعة رأسها على صدره العريض. وعندما ألقوا القبض عليه وأخذوه معهم إلى السجن المظلم البعيد، وقفت فى النافذة وأخذت تضحك فى حبور.

أرسل إليها من يقول لها على لسانه:

– تعالى فى أقرب وقت، أنا فى شوق لك، قلبى يهتف باسمك ويحن إليك.

لم يكن منها بعد أن بلغتها الرسالة إلا أن هزت رأسها وأغرقت فى الضحك السعيد..

في السادسة صباحا شنقوه، في السابعة غيبوه في قبره.
لكنها في الثامنة راحت ترتشف النبيذ الأحمر، بينما كانت تطل
من النافذة وتضحك(*)..

(*) عن هينريش هيني.

بنو عذرة

فى كل مساء كانت ابنة السلطان الفاتنة الحسناء، تتمشى جيئة وذهابا عند النبع الصغير، النبع الذى توشوش فيه وتتناثر منه المياه البيضاء.

وفى كل مساء كان العبد الشاب يقف عند النبع الذى توشوش فيه المياه البيضاء، وكان وجهه فى كل يوم يزداد عليه الشحوب والاصفرار.

فى أحد الأيام اندفعت الأميرة نحو العبد وقالت له بكلمات خاطفة حادة :

- أريد أن أعرف اسمك. أعرف وطنك وقبيلتك وأصلك..!

أجاب العبد بقوله :

– اسمى محمد، وأنا من اليمن السعيد، وقبيلتى هى قبيلة بنى عذرة، أولئك الذين يموتون عندما يحبون ويخلصون (*)..

(*) عن هينريش هيني، وقد أخطأ الشاعر فى نسبة العذريين إلى اليمن، فالمعروف أنهم عاشوا فى شمال الجزيرة العربية، وأصاب حين جعلهم نموذج الحب المثالى العذرى، كما أخطأ أيضا حين تصور وجود سلاطين فى اليمن وجزيرة العرب اللتين كانتا خلوا منهم. (المترجم)

قصة حب موضوعية

بعد أن عرفا بعضهما ثماني سنوات كاملة (ويمكن القول بأنهما عرفا بعضهما معرفة لا بأس بها)، ضاع منهما الحب فجأة كما تضيع من المرء عصا أو مظلة أو غطاء للرأس.

كانا حزينين، وحاول كل منهما أن يبدو مرحا وطبيعيا، بل حاولا أن يتبادلا القبل، وكأن كل شيء لم يزل على حاله كما كان. ثم نظر كل واحد منهما للآخر واحتارا كيف يتصرفان. عندها انفجرت فى البكاء الشديد، ووقف هو بجوارها صامتا لا يدرى ماذا يقول.

كانت شمس العصر تفرش أشعتها على أسطح البيوت. قال إن الساعة ربما جاوزت الرابعة بقليل، وقد حان الوقت لتناول القهوة أو الشاى .. وسمعا بالقرب منهما أصوات عزف على البيان.

دخلا أصغر مقهى وجداه فى المكان، ثم راحا يقلبان الملاعق

في الأكواب. وهبط المساء وهما ما يزالان في مكانهما جالسين، جالسين وحدهما وبكلمة واحدة لا ينطقان، ولا يتصوران – ببساطة – كيف حدث لهما ما حدث(*).

(*) إريش كستنر.

ملك من تولا(*)

عاش فى جزيرة تولا من قديم الزمان، ملك صان عهد الوفاء حتى الرمق الأخير. كانت زوجته قد أهدته وهى فى غيبوبة الاحتضار، كأسا ذهبية رائعة الحسن والجمال.

لم يكن يفوق حبه لهذه الكأس شىء فى الوجود، فهو يفرغ خمرها فى جوفه مع كل طعام أو شراب. وكلما ارتشف منها ولو قطرة واحدة، طفرت إلى عينيه الدموع الغزار.

عندما كبر فى السن وشعر بأن أجله قد حان، أحصى المدن والقلاع والأصقاع فى المملكة. ثم قام بتوزيعها على ورثته من الأمراء، وتخلى عن كل شىء ولم يحتفظ لنفسه إلا بالكأس.

جلس إلى المأدبة الملكية للمرة الأخيرة، ومن حوله جموع الفرسان والنبلاء والأمراء، هناك فى البهو الفخم العالى بهو

ويرجح أن تكون تولا هى جزيرة أيسلندا، وكان المؤرخون والجغرافيون الإغريق يعتبرون أنها تقع عند آخر حدود العالم المعروف لهم فى ذلك الحين..

الآباء ، فى قصره الشامخ المطل على البحر الكبير.

ونهض السكير العجوز ووقف أمام النافذة، وراح يرتشف آخر جمرات الحياة، ثم انحنى ورمى الكأس المقدسة من يده فى ماء البحر الجياش بالرياح والأمواج.

أخذ يراقبها وهى تصطدم وترتطم بدوامات المياه، ثم تسقط وتغيب على مهل فى الأعماق. هنالك أغمض عينيه وانسدلت فوقهما الجفون، ثم لم يذق بعد ذلك قطرة واحدة (*)...

(*) عن جوته ،

٣ - طوبى للعصيان ..

طوبى للعصيان

كان هناك سبع عنزات صغيرة، وكان يسمح لهن بأن يتطفلن على كل شيء ، باستثناء صندوق الساعات، الذى حرمته عليهن الأم، حتى لا تفسده وتدمره.

كانت هناك ست عنزات مؤدبة، أرادت أن تتطفل على كل شيء، إلا على صندوق الساعات، الذى حرمته الأم عليهن، حتى لا تفسده وتدمره.

وكانت هناك عنزة عاصية، أرادت أن تتطفل على كل شيء، بما فى ذلك صندوق الساعات، الذى أفسدته ودمرته كما خشيت الأم.

ثم جاء الذئب الشرير.

كانت هناك ست عنزات مؤدبة، اختفت عندما شعرت بأن الذئب قد جاء: تحت المائدة، وتحت السرير، وتحت الكرسى الكبير، ولم يختف أحد منها فى صندوق الساعات، فافترس الذئب العنزات الست جميعاً.

كانت هناك عنزة غير مؤدبة، قفزت فى صندوق الساعات، كانت تعلم أنه فارغ ومجوف، ولذلك لم يعثر عليها الذئب، فبقيت على قيد الحياة.

عندئذ فرحت أم العنزات(*).

(*) عن فرانز فيمان.

الحلاق المناسب

«إذا جاز لى على طريقة المتحذلقين، أن أحلق ذقنى وخدى، فسأسمح لنفسى لليوم الأخير، بأن أستغل ذقنى الطويلة، بذلك يرتعد من الرعب كل من يراها، وكل من يواجه غضبى الشديد.

هاللو ! أنت يا صاحب الفندق! خذ حصانى بسرعة! وقدم له ما يحبه من العلف.. هل لديكم هنا فى المنطقة حلاق؟ إذن فادع الحلاق المناسب على الفور. لقد جبت الغابة من الشمال للجنوب، وقطعت هذه البلاد الملعونة بالطول والعرض! ومع ذلك لم أعثر أبدا على الحلاق المناسب.

تعال هنا، اقترب يا حلاق الذقون! عليك أن تحلق لى ذقنى، لكن لا تنس أن جلدى حساس، سوف أنفحك مائة قطعة ذهبية(*)، وإذا لم تؤد عملك على ما يرام وسالت منى قطرة دم واحدة فسوف يطعنك هذا الخنجر فى قلبك».

(*) الكلمة الأصلية هى «باتزين» وهى عملة ذهبية قديمة. (المترجم)

كان الحديد البارد المسنون يلمع فوق المائدة، وعلى مقربة من هذا الشىء الملعون، كان الرجل متجهم الوجه أسمر الشعر، يجلس على صهوة جواده، مرتديا سترة قصيرة سوداء، تتدلى منها أهداب أشد سوادا.

أحس الحلاق بالرعب الشديد، أراد أن يسن الموسى ويبدأ عمله، ثم نظر إلى الخنجر، وإلى الضيف الماثل أمامه، فتملكه الخوف والفزع، وأخذ يرتعش كورقة الخريف، وفجأة قرر أن ينفذ بجلده من الإعصار، واستأذن فى أن يرسل صبيه بدلا منه.

«مائة قطعة ذهبية أعرضها عليك إذا وجدتك تجيد صنعتك، لكن حذار أن تخدش جلدى، وإلا طعنتك بالخنجر حتى الموت».

قال الصبى : «أعوذ بالله من الشيطان ! ليس هذا من العادات المألوفة فى بلادنا»، وجرى مسرعًا وأرسل إليه صبيا أصغر.

«أأنت الحلاق المناسب، أيها البورص الصغير؟ هيا إذن إلى العمل، وابدأ فى الحلاقة، هنا المال أمامك، وهنا الخنجر، ويمكنك أن تختار ما تشاء! لكن إذا جرحتنى أو خدشت جلدى بخدش بسيط، فسوف أطعنك الطعنة الرحيمة القاضية! ولن تكون فى ذلك الأول ولا الأخير».

تفكر الصغير فى العملات الذهبية، لم يتردد طويلا وهتف بصوت جسور:

– «اجلس الآن فى هدوء ! لا تتحرك ! وليرعك الله ويبارك فيك!».

أخذ – بثبات ورباطة جأش – يغمر وجهه بالصابون، يشحذ فى يده الموسى، ويقص الشعر، يحك الجلد، ويدهنه ويدعكه، «والآن، بحمد الله، نعيما عليك»!.

«خذ ، أيها القزم المضحك، نصيبك من المال، إنك شيطان حقيقى! لم يفكر أحد قبلك فى الحصول على النقود، وأنت الوحيد الذى لم تعتره الشكوك، ولا أصابته الرعشة والارتجاف. ولو سالت منى قطرة دم واحدة، لما ترددت فى طعنك بالخنجر».

«سيدى الكريم، لم يكن الأمر كما تتصور، فقد كنت أمسك طول الوقت برقبتك، ولو كنت حركت وجهك حركة بسيطة وارتبكت يدى لحظة واحدة في الحلاقة، لما تركت لك الوقت لتنفيذ ما تقول، فقد كنت مصمما وعلى أتم استعداد أن أقطع رقبتك على الفور!».

«كذا!! كذا ! يا لها من دعابة ملعونة!».

ساءت حال السيد وشعر بالتعب والضيق، وشحب وجهه

كوجوه الأموات، وراح جسده ينتفض ويرتعش بعد الأوان!

«كذا! كذا! شيء كهذا لم يخطر أبداً على بالى، مع ذلك فقد لطف بى الرحمن الرحيم، ولن أنسى هذا الدرس فى المستقبل ما حييت...» (*).

(*) عن أدالبير فون شاميسو.

تاجر من أصفهان

فرضت ضريبة جديدة، على التجار فى مدينة أصفهان، لكن أحد التجار رأى بعد تفكير، أن الضريبة تجاوز قدرة حافظة نقوده بكثير.

أخذ يعد، ويحسب، ويقارن ويزن الأمور، ثم هب من فوره وانطلق على الطريق، ليعلن شكواه للمحتسب الكبير، لعل الشيخ يستجيب لظلامة المستجير.

جاب الحارات الضيقة وشق طريقه وسط الزحام:

– سيدى! لن أسدد الضريبة الجديدة.

– إذن فعليك أن تغادر هذه المدينة.

قالها المحتسب فى تأن وهدوء.

– سيدى، أنا عاجز هنا عن سداد الضريبة، وإلى أين أذهب وليس لى فى العالم مكان؟!

– اذهب إلى شيراز أو حتى إلى كاشان، أو اذهب كما تشاء إلى أى مكان.

تجرأ التاجر وقال :

- في شيراز، يا سيدى ، يعمل شقيقك الأصغر منك، وابن أختك يمسك بالدفة فى كاشان، فأى شىء يمكن أن أرجوه هنا أو هناك؟

- تستطيع أن تتوجه إلى البلاط وهناك تشكو الظلم الواقع عليك.

- فى البلاط يا سيدى يقبض على زمام السلطة شقيقك الأكبر وهو الوزير.

- اذهب إذن إلى الجحيم وتوقف عن حمقك ووقاحتك!

رد عليه التاجر قائلا :

- ربما وجدت هناك والدك رحمه الله، فما أصعب أن يفلت منك أى إنسان!

- اذهب إذن وتوكل على الله، وسوف أفكر فى الأمر بنفسى حتى لا تقع على رأس أحد من جنسى تهمة ظلمك فى الدنيا وفى الآخرة(*)!

(*) عن فريدريش ريكرت.

مرسال

رجع الدوق من مهرجان سباق الخيول، فرأى خادمه يمرق مسرعا بجانبه:

– هالو ! إلى أين تحملك رجلاك! تكلم يا خادمى وقل لى فى أى اتجاه تسير..

– إننى أتمشى يا سيدى وأروض أعضائى، وبالمرة أبحث لى عن مسكن أعيش فيه.

– مسكن؟ ما هذا الذى تقوله؟ تكلم بصراحة! ماذا حدث لمسكننا، للبيت الذى نعيش فيه؟

– لم يحدث شىء ذو بال! مجرد أن كلبك الأبيض الصغير، يرقد الآن مجروحا بجرح مميت..

– كلبى العزيز مجروح؟! مجروح حتى الموت؟! تكلم كيف جرى هذا لكلبى الحبيب؟

– أصاب الفزع حصانك فقفز فوقه، وبعدها جرى فى اتجاه

النهر فابتلعته الأمواج.

– حصانى الجميل! زينة حظيرة الخيول؟ وما الذى أفزع الحيوان المسكين؟!

– إن لم تخنى الذاكرة فقد داهمه الرعب الشديد، عندما رأى ابنك الصغير يسقط من النافذة.

– ابنى؟ وهل جرح ابنى العزيز؟ لابد أن زوجتى الحلوة ترعاه الآن.

– الدوقة عاجلتها الضربة على الفور عندما رأت أمامها جثمان السيد الصغير.

– ولماذا مع كل هذه المصائب والأهوال لم تبق هناك، أيها الوغد، لتحرس البيت؟!

– البيت؟ أى بيت تقصد يا سيدى! بيتك الآن فحم وتراب! كانت المرأة التى غسلت الجثث بالقرب من النعش نائمة، حين شبت فى ثوبها وشعرها النار، واحترق القصر والإسطبل باللهب الذى أججته الريح، كما احترق الخدم والحشم أجمعين ! أنا وحدى الذى ادخره القدر من المأساة، وأرسلنى إليك لأصف لك فى رفق تلك الأحداث(*).

(*) عن أناستازيوس جرين.

صبى الشيطان

ولما رجع الجندى من الحرب، وفى جسده سبعة ثقوب فداء لمليكه، لم يجد مأوى فى وطنه، فمضى ذاهبا إلى الجحيم. هناك وجدوا له وظيفة، فكان عليه أن يقوم بتسخين القدور، كما كان عليه ألا يبخل بالفحم والوقود، وبذلك صار صبى الشيطان.

وعندما تقدم من القِدر الأول، وجد ضابطه السابق يطل برأسه:

– أنت يا رفيقى العزيز، ساعدنى على الخروج من الجحيم!

– طبعا لا . لن يحدث شىء من هذا ! لكم عذبتنى على الأرض وأهنتنى، فابق إذن فى أسفل الجحيم، وجبة سائغة للشيطان!

وعندما أقبل على القِدر الثانية، اكتشف أن فيها المارشال.

– آه يا رفيقى الطيب، ساعدنى على الخروج من الجحيم!

– لا ! لا ! هذا شىء مستحيل. لقد طالما عذبتنى على الأرض

وأهنتنى، فابق عندك فى أعماق الجحيم، وجبة دسمة للشيطان!

ولما اقترب من القدر الثالثة وجد مليكه يطل منها برأسه.

– أنت يا رفيقى العزيز، ساعدنى على الخروج من الجحيم!

– لا! لا ! لن يحدث هذا أبدا، لقد عذبتنى على الأرض وأهنتنى، فابق فى أسفل درجات الجحيم، وجبة لذيذة للشيطان!.. وإذا بقيتم جميعا فى الجحيم، فسوف تحيا الأرض فى رخاء ونعيم، عندئذ يمكننى، أنا صبى الشيطان، أن أرجع أخيرا إلى بيتى!

ترك زبانية جهنم يعملون ويسبحون، ووضع تحت القدر مزيدا من الفحم والوقود، ثم تسلل مغادرا الجحيم، على أمل ألا يعود إليه أبد الآبدين(*).

(*) عن فرانز فيمان.

الطفل الذى سقط فى البئر

كان الطفل الصغير - على عادة الأطفال - مشغولا باللهو واللعب والمرح. لم ينتبه إلى البئر المفتوح القريب منه فوجد نفسه فجأة يسقط فيه.

صحيح أنه عندما سقط لم يصب بسوء، لكن الطفل هو الطفل، ولابد من أنه شعر بالفزع والبرد الشديد فى ذلك الثقب الرطب الكئيب. المهم أن البئر كان قريبا من البيت الذى يسكن فيه، ولم يكن عميقا على كل حال، ولذلك استطاع أن ينادى من مخبئه بصوت كله استعطاف ورجاء: أتوسل إليكم، ساعدونى على الخروج!

جاء الأب مسرعا، وجاء معه أخوه، وحضر كذلك أقرب جار.. بل إن رجال الإطفاء أقبلوا أيضا، مع أنه لم يكن هناك نار ولا دخان. أخذوا ينظرون معا إلى الطفل الصغير المحبوس فى الأعماق، سألوه بصوت واحد: ما الذى حدث وكيف وقعت فيه؟

تنهد الطفل وسأل: وكيف أخرج من هنا؟ هتف أبوه قائلا : أنت يا ولدى العجيب لا مبدأ لك ! أما أخوه فضرب بيده على صدره وقال على وجه التقريب: كنت أعلم على الدوام أن أخى سيئ الطباع!

وقال الجار بصوت لين حنون: لقد قذف زجاج نافذتى مرة بحجر صغير.. أجل إنه ولد متوحش وشرير.

صاح الأب بصوت عال: اعترف يا ولد! لقد فعلتها وأنت عامد متعمد.

وأكمل أخوه بصوت خفيض: والسر في ذلك أنه تعوَّد أن يسرق التفاح!

ومع أن فتحة البئر لم يكن يصعد منها نار ولا دخان، فإن رجال الإطفاء هددوا الطفل بالخرطوم الأسود الكبير.

نفد صبر الجميع ودمدموا بصوت عال وغليظ: اعترف بذنبك إذًا! وإلا سلطنا عليك المياه! هتف الطفل الصغير :

- نعم! نعم! نعم! كان غطاء البئر مكشوفا ولذلك سقطت فيه. صحيح أننى أعترف بذنبى. لكن الآخرين أيضا مذنبون.

ولابد وأنه قال ذلك تحت تهديد الخرطوم..

المهم أنهم أخرجوه أخيرا ووضعوا على البئر الغطاء.

كبر الطفل الآن، وانتهت اللعبة. ومن يكذب وينافق، هو وحده الذى يجد الراحة والأمان(*).

(*) عن رودى اشترال.

٤ - حكاية من سالف الزمان

حكاية عن نشأة كتاب «الطريق والفضيلة»
(تاو - تى - كنج) الذى أملاه
الحكيم «لاو - تزو» وهو فى طريقه إلى المهجر

- ١ -

لما بلغ السبعين من عمره وأحس بالضعف الشديد، تاقت نفسُ المعلم إلى الراحة. فقد تداعت أركان الخير فى البلاد، والشر عاد إلى سطوته. وربط حذاءه.

- ٢ -

ثم حزم ما يحتاج إليه. متاع قليل. لكنه يضم شيئًا من هنا ومن هناك: الغليون الذى تعود أن يدخن فيه كل ليلة، والكتيب الذى تعود أن يقرأ فيه، ومن الخبز الأبيض على قدر النصيب.

- ٣ -

فرح قلبه برؤية الوادى للمرة الأخيرة. ثم نسيه عندما سار

فى طريق الجبل. فرح ثوره بالعشب الندىً فراح يمضغ منه والعجوز فوق ظهره. ولم يكن هذا فى عجلة من أمره.

– ٤ –

لكن فى اليوم الرابع عند أسفل الجبل، سد عليه الطريق عامل الجمرك: هل من شىء نفيس يستحق الضريبة؟ – «لا .. لا شىء».

والغلام الذى يسحب الثور تكلم قائلا: لقد كان يعلم الناس. واحتاج هذا أيضا إلى بيان.

– ٥ –

وعاد الرجل يسأل بلهجة مرحة : وهل خرج من ذلك بشىء؟ وتكلم الغلام فقال: بأن الماء الذى يجرى بنعومة ولين، يهزم الصخر الجبار بمرور الزمن، وبهذا، إن كنت فهمت، يغلب الصلب والخشن.

– ٦ –

ولكى لا يضيع عليهما ضوء النهار الأخير، ساق الغلام الثور، وما إن اختفى الثلاثة خلف شجرة صنوبر سوداء، حتى كان الرجل يعدو خلفهما وهو يصيح: أنت ! توقف! أجب على السؤال!

– ٧ –

«ماذا تقصد بحكاية الماء أيها العجوز؟»، توقف المعلم: «وهل يهمك أن تعرف هذا؟». قال الرجل: «ما أنا إلا عامل جمرك بسيط، لكن يهمنى أن أعرف من ينتصر على من؟ إن كنت تعرف الجواب فتكلم!».

– ٨ –

«اكتبه لى . أمله على هذا الغلام! شىء كهذا لا يأخذه المرء معه ويغادر البلاد. الورق عندنا والمداد. وعندنا كذلك وجبة طعام للعشاء. أنا أسكن هناك. هل اتفقنا الآن؟».

– ٩ –

تطلع المعلم العجوز إلى الرجل من فوق كتفيه. السترة مرقعة، القدم حافية. وعلى الجبهة تجعيدة واحدة. آه ! ما هو بغالب هذا الذى يعترض طريقه. وتمتم المعلم: أنت أيضا؟

– ١٠ –

كان المعلم العجوز فيما بدا عليه، أعجز من أن يرد رجاء وجه إليه بأدب شديد. لذلك رفع صوته قائلا: «من يسأل يستحق أن يتلقى الجواب». وتكلم الغلام فقال: «وسوف يبرد الجو بعد قليل». «حسن. فلنهبط هنا إلى حين».

- ١١ -

ونزل الحكيم من على مطيته. سبعة أيام وهما يكتبان، وعامل الجمرك يحضر الطعام (كان فى هذه الأثناء يلعن المهربين بصوت خفيض) وبعدها تم كل شىء على ما يرام.

- ١٢ -

وذات صباح ناول الغلامُ عاملً الجمرك إحدى وثمانين حكمة. وبعد تقديم الشكر على الزاد القليل الذى قدمه لهما، انعطفا حول شجرة الصنوبر وغابا فى حضن الجبل. قولوا الآن: هل يمكن أن يكون الإنسان أكثر أدبا من ذلك؟

- ١٣ -

لكن لا ينبغى علينا أن نمجد الحكيم وحده، الذى يسطع اسمه على صدر الكتاب. فمن الضرورى أن تنتزع الحكمة من الحكيم؛ لذلك استحق الشكر كذلك عامل الجمرك، الذى عرف كيف يطلبها منه(*) .

(*) عن برتولت بريشت. وقد نقل كاتب السطور هذا الكتاب المقدس للطاوية إلى العربية قبل أكثر من أربعين عاما، وظهرت له ترجمات عربية أخرى لم يتشرف بالاطلاع عليها. ومازال يتمنى أن ينقله عن الصينية مباشرة أحد الإخوة الذين يجيدون هذه اللغة.المترجم

إدوارد

عن حكاية إسكتلندية

- إدوارد، يا إدوارد، ما الذى جعل سيفك محمرا بالدماء؟
أنت يا إدوارد، يا إدوارد، كيف أصبح سيفك مصبوغا بالدماء؟
ولماذا تسير هكذا وأنت محزون الوجه والخطى؟

- آه! لقد قتلت صقرى يا أمى، قتلته يا أمى! وليس لدى صقر سواه ولا صقر يشبهه.

- إدوارد! يا إدوارد! دم صقرك ليس بهذا الاحمرار تكلم يا ولدى بصراحة، اعترف لى!

- آه ! قتلت حصاني الأحمر يا أمى ! حصانى الأحمر قتلته يا أم! وكم كان مزهوا بنفسه هذا الحصان!

- كان حصانك عجوزا، ولم تكن بحاجة إلى ذلك. نعم يا إدوارد، يا إدوارد! كان حصانك عجوزا ولم يكن للقتل أى دا ع.
تكلم يا ولدى! لابد أن هناك ألما آخر يضنيك.

– آه يا أمى ! يا أمى! لقد قتلت أبى ! قتلت أبى وقلبى يتحسر ، يتحسر عليه يا أمى ! نعم قتلت أبى وقلبى يتحسر عليه..!

– إدوارد ! يا إدوارد! وكيف تكفر عن ذنبك الآن؟ كيف تكفر عن ذنبك؟ آه! كلمنى يا ولدى بصراحة!

– أمى ! يا أمى ! لا أريد أن تبقى قدمى على هذه الأرض، أريد أن أرحل بعيدا ، بعيدا وراء البحر.

– إدوارد! يا إدوارد! وما المصير الذى سينتهى إليه بلاطك وقاعاتك ما مصير قصرك يا ولدى وبلاطك، وهما نموذج الروعة والجمال؟

– آه يا أمى ! سأتركهما فى مكانهما حتى يسقط كل منهما ويتداعى.. سأتركهما يا أمى ورائى ولن أراهما مرة ثانية!

– وما مصير زوجك وطفلك يا إدوارد ! آه ! ما مصيرهما يا ولدى ومتى تسافر بالبحر؟

– العالم واسع يا أمى، دعيهما يا أمى يتسولان فى أرجائه. ولن أراهما أبدا.. آه ! لن أراهما أبدا بعد ذلك..

– وكيف يا إدوارد تترك أمك العزيزة؟ قل لى يا ولدى إدوارد: كيف تترك أمك العزيزة الغالية؟

– آه يا أمى! يا أمى! ســـأتركِ لك اللعنة ونار الجـــحـــيم، سأتركك للعنة يا أمى ولنار الجحيم، فأنت، أنت التى أوعزت لى بأن أقتله(*) !

(*) عن الأديب وفيلسوف التاريخ: يوهان جوتفريد هيردر.

قصر على البحر

– هل رأيت القصر، القصر العالى الذى يقع على البحر؟ إن السحب الذهبية والوردية تسبح فوقه وتظلله.

وهو يود لو ينحنى ويلمس التيار اللامع الصافى كالمرآة، بل يريد لو استطاع أن يصعد ويغوص فى وهج السحب العابرة فى المساء.

– «حقا لقد رأيته بنفسى، ذلك القصر العالى على البحر، ولمحت القمر الواقف فوقه، والضباب المنتشر حواليه».

– صوت الريح وجيشان البحر، هل سمعت لحنهما الشجى؟ وعزف الأوتار ونشيد الاحتفال، هل سمعتهما يترددان من الأبهاء العالية؟

– «كانت الرياح كلها والأمواج راقدة فى سكون عميق، فقد سمعت ترنيمة حزينة باكية، تنحدر لسمعى من القاعة ممزوجة بالدموع».

– وهل أبصرت الملك وزوجه يمشيان هناك فى الأعالى؟
وأحسست برفيف المعاطف الحمراء ولمحت أشعة التيجان الذهبية؟

ألم يكونا يشيعان عذراء فاتنة الجمال، رائعة كالشمس، متألقة بشعرها الذهبى؟

– «نعم رأيت الأبوين معا ، بغير أضواء التيجان ، رأيتهما فى ملابسهما السوداء، أما العذراء الشابة فلم تقع عليها عيناى» (*).

(*) عن لودفيج أولاند.

أحد ملوك الشمال

كان في قـديم الزمـان ملك يعيش في الشـمـال ، ملك متكبر وثري وجـبـــار ، لم يخلفـــه أحـــد مـثله ، ولن يشـــبـهـه أحـــد سواه.

ولما حـان أجله واقـترب من الموت، وكـان يجلس مـتأمـلا البـحر الخاوي الكئيب، تسلل ورثته والتفوا حوله: الذئب، والبومة، والدب الكبير.

قال للدب ذي الشـعـر الكثيف : «ســأترك لك الأيك والغـابة، ولن يجرؤ صياد على إزعاجك، أثناء وجودك ومقامك فيها».

ثم توجـه للبـومـة وقـال لها : « سـأترك لك مدنا وحـصـونا لا تحـصى ولا تـعد ، وعليك أن توزعـيـهـا بـالعـدل على أبنائك وبناتك!».

وقال كذلك للدب الكبيـر : «سأترك لك حـقلا هـادئا وفي غـاية السكون، تتزاحم فيه جثث فوق جثث من القتلى الذين أرديتـهم

فى عهدى».

وبعد أن انتهى من هذا الكلام مدد أعضاءه على الأرض ليستريح.. وانطلقت فى الجو عاصفة أو إعصار غطاه بالبرد والصقيع (*).

(*) ينسب الشاعر والقصاص أدالبير فون شاميسو هذه الحكاية الشعرية أو القصة الغنائية لكاتب آخر هو يوليوس كورتيوس مؤكدا أنه «زيَّن» بها قلمه ولم يتصرف فيها إلا فى أضيق الحدود. ولعل الكاتب المذكور أن يكون هو المؤرخ والباحث الألمانى فى الدراسات اليونانية القديمة (عاش بين ١٨١٤ و١٨٩٦م) الذى قام بالتنقيب فى منطقة أوليمبيا ووضع مؤلفات عديدة عن تاريخ أثينا وموقعها الجغرافى والحياة الديمقراطية فيها بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وغيرها من البحوث والدراسات الأثرية والتاريخية. (المترجم)

نساء فينسبرج

كان الملك كونراد، أول ملوك أسرة هو هنشتاوفين، يحاصر بجيشه الجرار مدينة فينسبرج منذ أيام طويلة. صحيح أن خصمه «فيلفى» كان قد انهزم، ولكن الحصن ظل يقاوم، كما أصر مواطنو المدينة على عدم التسليم.

لكن الجوع جاء ! الجوع الذى يشبه الشوكة الحادة. حاول المواطنون أن يسترحموا الملك الجبار فلم يلقوا منه إلا الغضب العنيف: «لقد قتلتم عدداً كبيرا من فرسانى المقربين إلىَّ، وحتى لو فتحتم أبوابكم وبواباتكم فسوف أعمل فيكم السيف».

حضرت نساء المدينة إليه وتشفعن لديه قائلات: «إذا كنتم مصممين على رأيكم، فاسمحوا لنا بأن ننسحب نحن ونخرج من المدينة.. إن أيدينا طاهرة وبريئة من الدم». عندئذ ترطب غضب البطل المستعر أمام أولئك النسوة المسكينات، بل شعر بأن قلبه يرف بالرحمة والإشفاق عليهن.

– «تستطيع النساء أن تنسحبن، ومن حق كل واحدة منهن أن تحمل معها ما تشاء وأن تخرج ومعها أعز ما تملكه من متاع! دعوهن يرحلن ولا يقف أحد فى طريقهن! هذا هو رأى الملك، وتلك هى كلمته!».

ولم يكد الصبح يطل بوجهه الرمادى في الشرق البعيد، حتى رأى الجنود المقيمون فى المعسكر مشهدا عجبا: فقد انفتحت البوابة العتيقة فى هدوء شديد، وترنح موكب النساء خارجا منها بخطوات متأنية وثقيلة.

كانت تضطرهن الأحمال التي يضعنها على ظهورهن إلى إحناء رءوسهن. فقد كن يحملن أزواجهن وهم عندهن أعز متاع. «أوقفوا هؤلاء النسوة الوقحات!» هكذا صاحت بعض الأصوات بالتهديد، وقال مستشار الملك بلهجة استنكار : «لا لم يكن هذا هو رأى الملك على الإطلاق»!

لما سمع السيد الصالح بما حدث أغرق فى الضحك: «صحيح أن هذا لم يكن هو رأيي، ولكنهن قد أحسنَّ التصرف. لقد قلت ما قلت وكلمة الملك لا تتغير ولا تحيد، وليس من حق أى مستشار أن يلوى عنقها أو يسيء التفسير».

هكذا كان ذهب التاج خالصا من الشوائب وطاهرا من

الدنس. ومازالت أصداء الحكاية تتردد آتية إلينا من زمن شبه منسى. ففى عام ألف وأربعين للميلاد، كما وجدت ذلك بنفسى فى بعض الأسفار، كانت كلمة الملوك لا تزال لها قدسيتها فى وطننا الألمانى(*).

(*) عن أدالبير فون شاميسو.

التتويج الحزين

عاش فى قديم الزمان ملك واسمه «ميليسنت»، أريد الآن أن أحكى لكم حكايته: فقد اغتال ابن شقيقه، ليضع على رأسه تاج الملك. وتم الاحتفال بالتتويج، بالأبهة والفخامة فى قصر «ليفاى»

آه يا أيرلندا! يا أيرلندا ! هل كنت عمياء إلى هذا الحد؟

كان الملك جالسا فى منتصف الليل، فى القاعة المرمرية الخالية. أخذ ينظر مذهولا لما حوله من تحف ونفائس، وكأنه قد سكر من كثرة الشراب على المأدبة الملكية، التفت إلى ولده قائلاً:

- أحضر لى التاج لألبسه مرة أخرى! لكن تبيَّن أولا من الذى فتح الأبواب؟

هنالك بدأت لعبة الموتى النادرة، إذ دخل موكبهم بخطى خافتة هامسة، والموكب يضم عددا كبيرا من الضيوف الملثمين ووسطهم يهتز ويترنح تاج. وتتزاحم الأرواح وتتدافع داخلة من الباب، وهى تدمدم وتتهامس بغير كلام، أما الملك فيشحب وجهه

ويرتسم عليه الرعب والوجوم.

ومن وسط الزحام الأسود يتطلع طفل لم يزل جرحه ينزف الدماء. يبتسم كالمحتضر ويطرق برأسه، ثم يدور فى القاعة الواسعة قبل أن يخطو نحو العرش بخطى وئيدة الإيقاع، ويمد يده إلى الملك بالتاج، إلى الملك الذى نفذ سهم الرعب فى فؤاده.

عندئذ انسحب الموكب من ذلك المكان، بينما كان يرف حواليه نسيم الصباح. ظلت أنوار الشموع تخفق على نحو عجيب، وظل القمر يصغى وهو يضع خده على النافذة، انحنى الابن فى صمت وقد تملكه الرعب الشديد أمام أبيه الممدد على العرش ومال عليه.. وسرعان ما اكتشف أنه مال على جثة هامدة (*).

(*) عن إدوارد موريكه..

لعنة المغنى

فى قديم الزمان كان هناك قصر شامخ عال، تسطع أضواؤه فوق الأرض حتى شواطئ البحر الأزرق، ومن حوله تزدهر باقة نضيرة من الحدائق العطرة، تفور فيها ينابيع متدفقة تحت أنوار قوس قزح الساطعة.

هناك عاش ملك متغطرس، واسع الثراء فى الممالك والانتصارات، يجلس على عرشه متجهم السحنة شاحب الوجه: لأنه لا يفكر إلا فى الرعب، ولا يبصر غير الغضب والانتقام، كما أن كلامه سوط عذاب، وكتابته تسيل منها الدماء.

وذات يوم توجه نحو هذا القصر مغنيان نبيلان، تنسدل على ظهر أحدهما خصلات شعر ذهبية، ويكسو رأس الآخر البياض، كان العجوز يحمل قيثارته ويجلس على صهوة جواد متألق بزينته، وكان يمشى إلى جواره رفيقه اليافع الشاب.

قال العجوز للشاب : «كن على أتم استعداد يا ولدى تفكَّر فى

أغانينا الصادرة من الأعماق، وترنم بأعذب الأنغام. عبِّئ كل طاقاتك لتعبر عن الفرح والألم، فعلينا اليوم أن نحرك قلب الملك المتحجر».

ها هما المغنيان يقفان فى القاعة الفخمة العالية، وعلى العرش يجلس الملك مع قرينته، أما الملك فرائع روعة مخيفة كأنه ضوء دموى من الشمال وأما الملكة فحلوة ورقيقة كأنها البدر فى التمام.

لمس العجوز الأوتار فانبعثت أعجب الألحان، وراحت تنثال على الأسماع بأعذب وأجمل الأنغام، ثم انساب صوت الشاب كأنه إشراقة السماء، بينما تدخل غناء العجوز كأنه جوقة من الأرواح خافتة الأداء.

أخذا يتغنيان بالحب والربيع والماضى السعيد، بالحرية والوفاء والطهر والعفاف وكرامة الإنسان، بكل ما هو حلو عذب يجيش فى صدور البشر وكل ما هو نبيل ورفيع يخفق به القلب والوجدان.

وجمت وجوه الحاشية وكفت عن الدعابة والسخرية، والمحاربون الأشداء من جند الملك خشعوا لله، أما الملكة فذابت فى لهيب الأسى وفى نشوة البهجة، فانتزعت وردة من صدرها

وألقت بها إلى المغنيين.

«لقد أغويتما رعيتى، فهل تتجرآن الآن على إغواء زوجتى؟»، هكذا صرخ الملك من شدة الغضب وراح جسده كله ينتفض.. ثم أمسك سيفه وقذفه بقوة فنفذ كالصاعقة فى صدر الشاب، صدره الذى تفجر منه الدم وسال بدلا من الأغانى الذهبية.

وفجأة تبددت حشود المستمعين كأن عاصفة هبت عليهم، وأخذ الشاب يحتضر بين ذراعى معلمه، معلمه الذى لفه فى المعطف ووضعه على ظهر الحصان، وبعد أن أحكم ربطه غادر معه القصر وما فيه.

توقف المغنى العجوز أمام البوابة العالية وأمسك بقيثاره الذى يغار منه أى قيثار، ثم رفع يده وحطمه على عمود مرمرى وأخذ ينادى ويصيح بصوت جلجل فى القصر وفى الحدائق الغناء: «ويلٌ لكِ أيتها القاعات المغرورة! أبدا لن يتردد فى أبهائك وتر، لن يصدح فيك غناء.. لا لا ! بل أصوات الآهات والحسرات وخطوات عبيد حتى تدوسك روح الانتقام وتحولك إلى عفن ورماد!

ويل لك أيتها الحدائق المعطرة فى ضوء الربيع البديع! هأنذا أريك الوجه المشوه لهذا الميت الحبيب، حتى تجف أوراقك

وأشجارك، وينضب كل نبع فيك، وتتحجرى فى مستقبل الأيام وتتحولي إلى صحراء يباب.

ويل لك أيها القاتل الملعون! أنت يا لعنة الغناء والمغنين! ليذهب أدراج الرياح كل كفاحك للحصول على أكاليل المجد الدموى! لِيُنسَ اسمك، وليغُصْ فى أعماق الليل الأبدى، وليتبدد فى الخلاء كحشرجة الاحتضار الأخير!».

نادى العجوز واستجابت السماء للنداء، فتداعت الجدران والأسوار وخربت الأبهاء، وبقى عمود عال يشهد على الأبهة الزائلة، بل إن هذا العمود يمكن أن يتهاوى بين ليلة وضحاها.

هكذا استحالت الحدائق المعطرة الغناء برية موحشة، ما من شجرة تلقى ظلا، ولا من نبع تسيل مياهه فى الرمال، اسم الملك لا يتردد فى أغنية ولا نشيد، ولا تذكره أية سيرة من سير الأبطال.. نسى الاسم وغاص فى العدم، وتلك هى لعنة المغنى والغناء(*).

(*) عن لودفيج أولاند.

إبيكوس وأسراب الكركى

توجه إبيكوس، حبيب الآلهة، إلى مضيق كورنت، للمشاركة في مهرجان سباق العربات والأناشيد الذى يجمع شمل قبائل الإغريق في كل عام. كانت الآلهة قد منحته موهبة الغناء، وأنعم عليه «أبوللو» بفم الأغنيات العذب. وهكذا انطلق وفى يده عصاه الخفيفة وغادر بلده «ريجيوم»[1] وهو مفعم الصدر بنعمة إله الفن والطرب والغناء.

بدأت تلوح لعينى المتجول الجواب معالم كورنثه الشامخة على ظهر الجبل العالى، وخطت قدماه فى مرج «بوزيدون»[2] الذى تتكاثف فيه أشجار الصنوبر والشربين. كان كل شىء هادئا وما من شىء يتحرك حوله، باستثناء أسراب قاتمة من طيور الكركى التى احتشدت فى السماء وراحت تصحبه فى رحلته وهى ترفرف فى طريقها إلى دفء الجنوب.

– «مرحبا بك أيتها الأسراب الودودة التى نعمت بصحبتها

حتى بلغت شواطئ البحر! كم أتفاءل بك وأحس بأن قدرى يشبه قدرك. فكلانا بدأ سفره من مكان بعيد، وراح يتوسل للآلهة أن تظله بسقف يحميه. فليتلطف بنا المضيف الذى نلبى دعوته، هذا المضيف الذى يرعى الغريب ويذود عنه الذل والعار!».

هكذا راح يغذُّ خطاه وهو منتشٍ ومنتعش، حتى وجد نفسه فى قلب الغابة .. هنالك سد عليه الطريق فجأة مجرمان قاتلان. اضطره الموقف أن يتأهب للقتال، ولكن سرعان ما سقطت يده هامدة باردة، يده التى تدربت على أوتار القيثار، ولم يحدث لها أبدا أن شدت قوسا ولا أطلقت سهما..

أخذ يستغيث بالبشر وبالآلهة، لكن ضراعته لم تصل لأحد يمكن أن ينقذه: ومهما صرخ وصاح بأعلى صوت، فما من مخلوق حى يلمحه البصر فى هذا المكان: «آه! قضى علىَّ أن أموت هنا وحيدا مهجورا، هنا على أرض غريبة لا يبكينى فيها أحد، آه ! كتب علىَّ أن أهلك هنا بأيدى أشقياء أشرار، حيث لا يظهر شبح إنسان ينتقم لى!..».

تهاوى ساقطا على الأرض متأثرا بجرحه الشديد، بينما كانت أجنحة أسراب الكركى ترف وترفرف من فوقه، واستطاع أن يسمع – بعد أن صار عاجزا عن الرؤية – الأصوات القريبة

تتنادى وتتصايح فى أذنيه: «أنت أيتها الكراكى الحبيبة... لترفعى أنت - حين يصمت كل صوت آخر - صوت الشكوى والتظلم من جريمة قتلى!»، ولم يكد هذا الأنين يتسرب من بين شفتيه حتى انطفأ نور بصره وأغمض عينيه..

تم العثور على جثته العارية .. ومع أن وجهه تشوه من أثر الجروح التى أصابته، فقد استطاع مضيفه وصديقه الكورنثى، الذى دعاه للمشاركة فى المهرجان، أن يتعرف على ملامحه العزيزة على قلبه: «كيف تحتم علىَّ أن أراك على هذه الصورة، أنا الذى كنت آمل أن أضع إكليل الغار على رأسك بعد أن تنتهى من الغناء ويتوهج وجهك هذا ببريق المجد الساطع!».

شعر كل الضيوف - الذين تجمعوا فى الاحتفال بأعياد بوزيدون - بالأسى والغضب عند سماعهم بالنبأ الحزين، بل إن بلاد الإغريق بأكملها قد غمرها الألم الفظيع، وأحس كل قلب بأنه قد فقد عزيزا عليه. اندفعت حشود الشعب الغاضبة إلى بيت الحاكم مطالبة بالانتقام للقتيل والتكفير عن تلك الجريمة بسفك دماء القتلة المذنبين.

لكن كيف يمكن العثور على أثر واحد يدل على الآثم البغيض وسط زحام الجماهير المتدفقة التى جذبتها روعة الاحتفالات

والألعاب؟ هل كان القاتل أو كان القتلة من اللصوص؟ أم فعل الفعلة الشنعاء عدو خفى يحسد أمير الغناء؟ لا أحد يمكنه أن يقول الحقيقة سوى هيليوس (إله الشمس) الذى ينشر ضياءه على كل ما هو أرضى.

من يدرى إن كان الآثم ينقل الآن خطاه الوقحة وسط حشود الإغريق؟ من يدرى إن كان يجنى ثمار جريمته الشنعاء فى الوقت الذى تلاحقه فيه آلهة الانتقام؟ بل لعله يقف على أعتاب معبد الآلهة متحديا لها، ويحشر نفسه بوقاحة وسط أمواج البشر التى تتدفق حشودها نحو المسرح؟

ها هم المتفرجون يجلسون على المقاعد متلاصقين فى الزحام الشديد الذى توشك بسببه أن تنهار أعمدة الخشبة.. وشعوب الإغريق لا تنفك تتوافد جموعها من بعيد ومن قريب لتقف هناك منتظرة بداية العروض. وتفور حشودهم وتمور كأمواج البحر الجياش بالبشر بحيث يمتد القوس المترامى بالمسرح وبالناس ليلتحم بالأفق الأزرق للسماء.

ولكن من ذا الذى يمكنه أن يحصى الجموع التى توافدت على المهرجان أو يذكر أسماءهم؟ لقد تدافعوا قادمين من مدينة ثيسيوس[٣]، وشواطئ أوليس[٤]، ومن فوكيس[٥]، ومن إسبرطة،

ومن الشـواطئ الآسـيـوية البـعـيـدة ومن كل الجـزر المتناثرة، حضـروا للاسـتمـاع إلى الألحان المهيبة المخيفة التى ترددها الجوقة التى تقف أو تتحرك على خشبة العرض المسرحى..

ويظهر أفـراد الجـوقـة قـادمـين من الخلفيـة، وعلى وجـوهـهم ترتسم أمارات الجدية والجلال والإحكام التى تقضى بها التقاليد العريقة، وبخطوات بطيئة ومتزنة يتجولون ذهابا وجيئة فى ساحة العرض.. لا ليست مغنيات الجوقة من نسل البشر ولم ينـجبـهن إنسان فانٍ! أجل إن أجسامـهن شـامـخة القوام لتفوق مـقـاييس البشر الأرضية!

إن المعاطف السوداء لترف حول خصورهن، وأيديهن النحيلة المعروقة تؤرجح الوهـج المحمر المعتم للمشاعل التى يحملنها حتى لتبدو خدودهن وقد غابت عنها الدمـاء.. وحيثمـا رفت خصـلات شعورهن حول الجباه خُيِّل للمتفرجين أنها حيات وأفاع منتفخة البطون ومتخمة بالسم!

وهكذا تدور نسـاء الجوقة فى دوائر مـحددة وتنطلق أصـواتهن المخيفة مرددة ألحان النشيد الذى يتـغلغل فى الأفـئدة ويمـزقهـا، ويلف حـبـاله حـول عنق المذنب الأثيم. ويرن نـشـيـد الأيرينيـات[٦] ويدوى من بعيد فيذهل الألباب ويخلب الأفئدة حتى ليكاد يصيب

الأعصاب والأصلاب فى الصميم ويجعلها تنفر من الاستماع إلى رنين القيثار :

«طوبى للأبرياء من كل ذنب وخطيئة! طوبى لمن يحافظ على طهارة الروح وطفولتها النقية! أولئك الذين لا يحق لنا أن نفكر في الانتقام منهم؛ لأنهم يسيرون فى حياتهم على الطريق المستقيم. لكن ويل لمن تسلل كاللص وارتكب جريمته الشنعاء! سوف نتعقب آثاره ونسلط عليه نسل الليل المخيف.

وإذا سوَّلت له نفسه أن يفر ويهرب، فسوف تطارده حشودنا المجنحة وتلقى عليه الحبال التى تلتف حول قدميه ويسقط منهارا على الأرض. هكذا نلاحقه بلا كلل ولا نقبل منه الندم على فعلته، ثم نتعقبه حتى يغيب في مملكة الظلال، وهناك أيضا لا نرحمه ولا نغفل عنه».

هكذا رددت الجوقة النشيد ثم أدت رقصتها، وخيَّم على المكان كله سكون أشبه بصمت الموت، وكأن روحا إلهية تقترب منه وتجوب أنحاءه. وكما جرى العرف واقتضت التقاليد القديمة، أخذ أفراد الجوقة يذرعون خشبة المسرح بخطوات بطيئة محسوبة، وذلك قبل أن يختفى الجميع فى الكواليس الخلفية.

وبين الوهم والحقيقة أخذت المخاوف والظنون توسوس فى

الصدور التى بدأت تنتفض وتبتهل للقوة المخيفة التى تحرس العدالة وتصرف فى الخفاء حكم القضاء، وتنسج عقدة الأقدار المظلمة بطريقة تستعصى على كل محاولة لفهمها وسبر غورها، وإن كانت تعلن عن سرها للقلوب العميقة وتهرب دائما من نور الشمس.

وفجأة يسمع من أعلى درجات المسرح صوت يهتف وينادى:

«انظر! انظر هناك يا تيموثيوس، انظر إلى كراكى إبيكوس!».

وفى لمح البصر تظلم السماء، وتتطلع الأنظار لأعلى المسرح فترى أسرابا سوداء من طيور الكركى تمر فوق الرءوس فى موكب كثيف.

«إبيكوس! .. يا له من اسم غال يجدد الحزن والكمد فى كل صدر، وكما تتدافع الأمواج موجة فى إثر موجة فى البحر، كذلك يسرى الاسم بسرعة من فم إلى فم.

أليس هو إبيكوس الذى نبكيه، أليس هو الذى قضت عليه يد قاتل غادر؟ ما الذى أجرى الاسم على اللسان؟ ما معنى أن يذكر هذا الاسم الآن؟ وما هو السر وراء موكب الكراكى السوداء»؟

ولا تفتأ الأصوات ترتفع شيئا فشيئا بالسؤال، ويتطاير هذا التحذير كومض البرق أو الصاعقة من قلب إلى قلب:

«انتبهوا! لقد تجلت قدرة الأويمينيدات[7] على الانتقام للشاعر الطيب المسكين، وها هو ذا القاتل يقدم نفسه بنفسه! أمسكوه، ألقوا القبض على الرجل الذى نادى بالاسم، وعلى الرجل الذى كان يوجه إليه النداء!».

حاول الرجل الذى أفلتت الكلمة من لسانه أن يبقيها حبيسة صدره، لكن عبثا حاول.. فسرعان ما دل الفم الشاحب المفزوع على المجرم الآثم وأظهره للعيان. شدوا الرجلين وجروهما أمام القاضى، وتحول المشهد كله إلى محكمة، واعترف الشريران بجريمتهما بعد أن أصابتهما سهام الانتقام(*).

(*) عن فريدريش شيللر.

١ – ريجيوم: ميناء مهم على طريق مسينا التى تقع على الساحل الشمال الشرقى لجزيرة صقلية. يقال إن «خالقيس» أسسها حوالى سنة ٧١٧ ق.م ثم استوطنها المسينيون . دمرها ديونيزيوس الأول طاغية سيراقوزة سنة ٣٨٧ ق.م، ثم احتلها المامرتيون من ٨٠ إلى ٢٧٠ ق.م واتحدت منذ ذلك الحين مع روما وأصبح لها شأن كبير فى العصر القيصرى.

٢ – بوزيدون: هو إله البحر والمياه فى الأساطير الإغريقية، وهو ابن كرونوس وريا، وشقيق كل من زيوس وهاديس اللذين اقتسم معهما حكم العالمين الأرضى والسفلى. وكان يحتفل به فى خليج كورنثه بإقامة الألعاب والاحتفالات المسماة باسمه.

٣ – ثيسيوس: المدينة المنسوبة للبطل الشهير ثيسيوس هى مدينة أثينا التى كان ملكا عليها، ونسب إليه منذ القرن الخامس قبل الميلاد أنه هو الذى أسسها وأقام فيها الديمقراطية.

٤ – أوليس: ميناء فى بوئيتيا خرج منه أسطول الإغريق فى حربهم مع الطرواديين.

٥ – فوكيس: تقع فى وسط بلاد اليونان وفيها جبل بارنيس ومعبد دلفى المشهور. سكنتها قبائل الرعاة الفوكيين منذ القرن السادس قبل الميلاد. دخلت فى حلف مع أثينا فى أثناء الحروب الفارسية ثم تحالفت مع إسبرطة ضد أثينا خلال الحرب البيلوبينيزية. احتلها فيليب المقدونى فى القرن الرابع قبل الميلاد، ثم استقلت فى عام ٣٠١ ق.م لتصبح سنة ١٤٨ جزءا من منطقة ماسيدونيا الرومانية.

٦ – الأيرينيات : هى فى الأساطير الإغريقية آلهات الانتقام التى تقيم فى العالم السفلى وتتولى حراسة النظام الأخلاقى والانتقام من الظلم ومعاقبة القتلة بإصابتهم بالجنون أو الموت والهلاك (ومن ذلك اضطهادها للبطل المشهور أورست)، وكثيرا ما تصور فى النحت والرسم فى شكل مخيف فتتدلى من شعرها الحيات وتمسك فى يدها بالمشاعل والسياط.

٧ – الأويمينيدات: أى المحسنات الظن، وهى تسمية أخرى للأيرينيات اللاتى تحولن من آلهات انتقام إلى آلهات نعمة وبركة تمنع سوء الحظ وتمنح الخصوبة.

٥ - حكاية عن رجل شجاع

العهد(*)

إلى مقر الطاغية ديونيس تسلل دامون، وكان يخفى خنجرا فى ثوبه. قبض عليه الحجاب وقيدوه فى الأغلال، وقال له المستبد العابس المخيف: «ماذا كنت تريد بهذا الخنجر؟ تكلم!».

– أردت أن أحرر المدينة من الطاغية!

– وسوف تندم على هذا عندما ترفع على الصليب.

قال دامون: «أنا على استعداد للموت، ولا أتوسل إليك لتبقى على حياتى، ومع ذلك فإن شئت أن تتعطف وتتكرم علىَّ فإنى أستسمحك فى مهلة لمدة ثلاثة أيام، حتى أزوج أختى لعريسها المنتظر، سوف أترك لك الصديق كضمان، ويمكنك أن تقتله إذا لم أوف بعهدى».

ابتسم الملك ابتسامة ماكرة وقال بعد أن فكر فى الأمر قليلاً:

– سأمنحك من عندى ثلاثة أيام، لكن بشرط أن تعلم: إذا

(*) العنوان الأصلى لهذه الحكاية الشعرية هو: «الضمان». (المترجم)

انقضت المهلة قبل أن تسلم نفسك فسوف ينتهى أجل صديقك بدلا منك، كما ستعفى أنت من العقاب.

ثم التفت للصديق وقال:

- أمر الملك أن أموت على الصليب، تكفيرا عن ذنبى وجريرتى، وقد قبل أن يمهلنى ثلاثة أيام، حتى أنتهى من تزويج شقيقتى، فابق أنت هنا لدى الملك وكن الضامن لعهدى، إلى أن أعود وأفك عنك الأغلال.

احتضنه الصديق الوفى فى صمت وسكون، ثم سلم نفسه للطاغية، وذهب الآخر لحال سبيله. وقبل أن يشرق فجر اليوم الثالث كان قد جمع شمل شقيقته مع زوجها وأسرع راجعا إلى موطنه بقلب مهموم خشية أن تنقضى المهلة ويتأخر عن الموعد المرسوم.

وتصادف أن انهمرت الأمطار بغزارة، واندفعت السيول من أعالى الجبال، وجاشت الجداول والأنهار بالموج الصخاب. لم يكد يبلغ الشاطئ ويلقى عصا الترحال، حتى أطاحت الدوامة بالجسر وشدته للأعماق، وأخذت الأمواج التى تقصف كالرعد فى هدم أعمدته وتحطيم أقواسه.

راح يذهب ويجىء على حافة الشاطئ، لم يُجدِه أن يرسل

البصر ويستطلع الآفاق، ولا أن يبعث بصوت ندائه فى كل اتجاه، فلم يتحرك قارب واحد ليغادر الشط وينقله إلى بلده الحبيب، ولم يحرك نوتى شراعه صوب المكان الذى يقف فيه، وتدافعت الأمطار فحولت النهر الوحشى إلى بحر.

جلس على الشاطئ وراح يبكى ويبتهل لزيوس بيدين مرفوعتين للسماء:

«أوقف يا إلهى غضب النهر! إن الساعات تمر والشمس الآن فى الظهيرة، وإذا غابت قبل أن أصل إلى المدينة، فسوف يضيع منى الصديق بلا مراء».

لكن النهر تزايد غضبه باستمرار وتكسرت الأمواج على الأمواج، وانصرمت الساعات واحدة بعد الأخرى. عندئذ حفزه القلق المخيف فواتته الشجاعة وألقى بنفسه وسط الطوفان الهدار، وراح يشق النهر بذراعيه القويتين بينما الإله يباركه ويرأف بحاله.

وأخيراً بلغ الشاطئ وأسرع خطواته وهو يشكر للإله الذى أنقذه. وفاجأه ظهور عصبة من قطاع الطرق انشقت عنها ظلمات الغابة المعتمة، سدوا عليه الطريق وراحوا يشهقون ويزفرون بأنفاس قاتلة، لم يكتفوا بإيقافه عن السير، بل أخذوا

يهددونه بالهراوات.

هتف ووجهه شاحب من الرعب والذهول:

- ماذا تريدون منى؟ أنا لا أملك غير حياتى، وحياتى سأسلمها حتما للملك!

وفجأة انتزع الهراوة من أقربهم منه وهتف:

- بحق السماء! أليس فى قلوبكم رحمة!

وبضربات عاجلة جندل ثلاثة من الأشقياء فلاذ الآخرون بالفرار.

والشمس ترسل حممها الحارقة، ويسقط على ركبتيه وقد أضناه الجهد والعناء:

- لقد أنقذتنى من أيدى قطاع الطرق، وترفقت بى وأعنتنى على عبور النهر إلى بلدى المقدس، فهل قضيت علىّ بأن أهلك فى هذا المكان بينما الصديق، صديقى الحبيب، يموت هناك؟!

أنصت وإذا به يسمع صوت خرير ناعم، يتدفق ويتألق بالقرب منه، وإذا بنبع حتى يتفجر من قلب الصخر ويتمتم ويثرثر، ويركع على ركبته وقد غلبته الفرحة، ويطفئ ظمأه وينعش أعضاءه الملتهبة.

وتطل الشمس من خلال الغصون والأوراق، وترسم ظلالاً

هائلة على الأشجار وخضرتها الناصعة. رأى اثنين يعبران الطريق من بعيد، وخطر له أن يهرب منهما، بسرعة، وإذا به يسمع أحدهما يقول: «إنهم يضعونه الآن على الصليب».

زود القلق قدميه المسرعتين بجناحين، وطاردته أشباح الهم والعذاب، وومضت من بعيد على ضوء أشعة الأصيل أسوار «سيراقوزة» وقمم أبراجها، وأقبل نحوه راعى بيته الأمين فيلوستراتوس بعد أن تعرف - وهو مفزوع - على سيده:

- ارجع يا سيدى! لن تستطيع أن تنقذ الصديق! أسرع أنت بإنقاذ حياتك! إنه يعانى الموت الآن، وقد راح ينتظر ساعة بعد ساعة، يحدوه الأمل فى عودتك فى الميعاد، ولم تستطع سخرية الطاغية أن تسلب الإيمان الراسخ الشجاع.

- حتى لو كان الوقت تأخر ولم يعد فى إمكانى أن أنقذه فعلى الموت أن يوحد بيننا، بحيث لا يزهو الطاغية الدموى بأن الصديق قد خان عهد صديقه، وبذلك يذبح ضحيتين لا ضحية واحدة، ويؤمن فى المستقبل بوجود الحب والوفاء.

وتميل الشمس للمغيب، ويقف على الباب الكبير ويرى الصليب الذى رفعوه من بعيد والجماهير المحتشدة حوله تبحلق فيه، ولم يكد الجلادون يرفعون الصديق بالحبال حتى شق

صفوف الجوقة الكثيفة المتزاحمة وهتف بصوت عال: «اقتلنى أنا أيها الجلاد! هأنا ذا الذى ضمنه الصديق!».

وتستولى الدهشة على جماهير الشعب الحاشدة، ويتعانق الصديقان ومن الألم والفرح يبكيان، هنالك لم تُرَ عين خالية من الدموع، ويبلغ الملك بالخبر العجيب، فيرق قلبه لأول مرة، ويأمر بمثولهما أمام العرش.

ويطيل النظر إليهما وهو فى عجب شديد، ثم يقول: «لقد نجحتما أيما نجاح واستطعتما التأثير على فؤادى، حتى اقتنعت بأن الوفاء ليس كلمة جوفاء! ضمَّانى إذًا إلى صفكما واعتبرانى نعم الرفيق.. ولأكن، إذا تعطفتما على، ثالث اثنين معكما على الطريق»(*).

(*) عن فريدريش شيللر.

٦ - صار الخبز يباع بسعر غال
والدم واللحم بأرخص سعر..

وادى الآلام

تصـفـر ريح الليل خـلال الفـتـحـات، وفى غـرفـة بائسـة على السطوح ترقد روحـان مسكينتـان يرتسم على وجهيهمـا النحـول والشحوب.

تقول إحدى الروحين المسكينتين: «طوقنى بذراعيك، اضغط شفتيك على شفتىّ بشدة، أبغى أن أستدفئ بك».

وتقول الروح الأخرى المسكينة: «حين أرى عينيك، يذهب عنى حزنى، بؤسى، جوعى، كل تعاستى على الأرض».

تبادلا قبلات كثيرة، وذرفا دموعا أكثر، تعانقت أيديهما وهما يتنهدان ويتأوهان، ضحكا أحيانا، بل انطلقا فى الغناء ثم أطبق عليهما الصمت فى النهاية.

فى الصباح جاء المفتش ومعه جاء جراح بارع، عاين بنفسه الجثتين.

قال موضحـا رأيـه : «الطقس القـاسى مع جوع المعدة ،

هما السبب فى موتهما ، أو هما - على أقل تقدير - اللذان عجّلا به».

أضاف قائلا: «عندما يسقط الجليد تحتم الضرورة على الإنسان أن يتدثر بالأغطية الصوفية وذلك على سبيل الاحتياط»، ثم أوصى - وهو يختم كلامه - بالغذاء الصحى(*).

(*) عن هينريش هينى.

الشحاذ وكلبه

- كيف يفرض عليَّ أن أدفع رسوم كلبي ثلاث تاليرات؟ فلتخسف بي السماء إلى سابع أرض! ماذا يدور في عقول هؤلاء السادة في أقسام الشرطة؟ أليس لهذا العذاب من آخر؟

- إنني رجل عجوز ومريض، غير قادر على كسب قرش واحد، لا مال عندي ولا خبز، ولا أعيش إلا على الجوع والضنك.

- لما مرضت ولما حلَّ عليَّ الفقر .. من ذا الذي رأف بحالي؟ ومن الذي عادني أو سأل عني حين وجدت نفسي وحيدا في دنيا الله؟

- من ذا الذي أحبني عندما أصابتني الهموم والآلام؟ ومن أدفأني حين ارتجفت من البرد؟ ومن الذي واساني فجاع معي عندما جعت ولم يتقزز أو يمتعض من حالي؟

- لقد تدهور بنا الحال نحن الاثنين، ولابد ، يا كلبي، أن نفترق كل في طريق.. أنت مثلي عجوز ومريض، وعليَّ الآن أن أغرقك في النهر، وهذا هو جزاء الإحسان!

– نعم هذا هو جزاء الإحسان، وهو أجرك ومكافأتك! مصيرك يشبه مصائر بعض أبناء الأرض.. اللعنة ! لقد شاركت في أكثر من حرب، لكنني لم أقم أبدا بدور الجلاد.

– هذا هو الحبل، وهذا هو الحجر، وهذا هو الماء.. لابد مما ليس منه بد. تعال هنا، يا عديم الأصل، ولا تتطلع إليّ .. لم يبق إلا ركلة واحدة وينتهي كل شيء.

عندما لف الحبل على رقبة الكلب، راح هذا يلعق يده ويهز ذيله، تراجع على الفور ونزع الحبل من رقبته ثم لفه بسرعة على عنقه.

أخذ يطلق اللعنات المرعبة المخيفة، ثم جمع طاقته وحشد آخر قواه ورمى نفسه في التيار المتدفق الذي ارتفع سطحه واهتز برنة ضعيفة، ثم التف حول نفسه في دائرة صغيرة قبل أن يغطيه بالصمت والسكون.

أخذ الكلب يقفز وينبح ويستغيث بالمنقذين، ووصل صوت نباحه إلى البحارة وأقلق راحتهم، وراح يعدو وراءهم ويشدهم من أطراف ثيابهم وهو يبكي وينوح.. ولما استطاع البحارة أخيرا أن يعثروا عليه، كان قد فارق الحياة.

في هدوء واروه التراب، وكان الكلب هو الوحيد الذي تبع جثمانه وهو يطلق العويل والنواح. ولما رآهم يهيلون عليه التراب مدد جسده على الأرض ودخل في غيبوبة الاحتضار(*).

(*) عن أدالبير شاميسو.

الساحرة الصغيرة

كان اسم الصغيرة هو «إلزا فات». تربت في بيت من بيوت اليتامى، حيث كانوا يعتبرونها معوقة ومنافقة. والسبب في ذلك أنها لم تكن تنطق بكلمة واحدة، وأنهم كانوا يرتابون في شأنها ارتيابا شديدا، إذ يأخذون عليها شبهة الضحك بصوت شديد الخفوت بعد أن تستيقظ مبكرا من نومها.

وبسبب تصرفاتها الغريبة سموها الساحرة الصغيرة. كانوا في كل مكان يعيبون سلوكها، ومع ذلك فلم يجسر أحد على ضربها؛ لأنها كانت قد ولدت عمياء.. وقد اعتبروها طفلة وقحة لأنها كانت تتضاحك بصوت خفيض كلما أخذوها إلى النوم في فراشها.

وذات يوم رقدت «إلزا» في سريرها الصغير شاحبة الوجه مرهقة، إلزا المريضة، الهادئة، العمياء، وراحت تحتضر. كانت تبتسم كأنها قادمة من عوالم أخرى، وعندما مسحت إحدى الموظفات في بيت اليتامى على رأسها برفق نطقت قائلة لها بصوت عال وبسعادة لا حد لها : شكرا لك(*).

(*) عن يواخيم رنجلناتز.

الطفل الواقف أمام الجنة

وصل الطفل الصغير إلى باب الجنة، وكان حارسها القديس بطرس واقفا أمامه. كان الطفل رقيقا غاية فى الرقة واللطف. وكان من الواضح عليه أنه بلا ذراع ولا ساق.

– اسمح لى أيها الحارس العزيز بالدخول. فما أنا – علم الله – إلا خنزير صغير مسكين. ولدت هناك فى هيروشيما، بعد مرور اثنتى عشرة سنة على وقوع الكارثة.

– لن أسمح لك يا صغيرى بالدخول. لابد أن الجحيم كان قد اشتعل هناك. ومن ولد فى الجحيم ضاعت عليه جنة النعيم(*).

(*) عن كارل ميكيل.

٧ - عرس فى حقل القمح الملغوم..

أجراس إيرفورت

أجراس كنيسة إيرفورت، التى صُبَّت من المدافع التى كان يطلقها الجنود الفرنسيون على الجنود الألمان:

هذه الأجراس كانت فى حرب السبعين، هى المدافع التى استولى عليها الألمان وتبرع بها القيصر لتكون أجراسا تتوج الكنيسة.

كانت تدق وكأن الحديد قد انصهرت فيه بقوة هزيمة العدو التقليدى القديم مع مجد ألمانيا وشرفها.

وعندما نشب الصراع من جديد فى عام ألف وتسعمائة وأربعة عشر، تحولت الأجراس إلى مدافع وذلك فى الجانب الألمانى.

هكذا تم صهرها وصبها فى مواسير حارقة راعدة: تحول المصلون إلى جنود، والحرب.. الحرب انتهت بالهزيمة.

ومع ذلك استطاع الألمان أن يغنموا مدافع فرنسية، من

حديدها صبت أجراس، راحت تدق من جديد فى إيرفورت داعية الإله الألمانى فى تضرع أثناء الصلاة أن يقود بفضله الشعب الألمانى فى الحرب التى سيشنها للانتقام.

وجاء هتلر فأقسم على ذلك ولكن بنغمة مختلفة! ففى عام ألف وتسعمائة وتسع وثلاثين نادى بالتعبئة العامة للأجراس!

وتحولت أجراس إيرفورت من جديد إلى مدافع . وانطلقت الحشود الشقراء لمحاربة العالم كله.

لم ترجع الأجراس ولم تدق مرة أخرى، وأصبح على إيرفورت أن ترتب بدونها دعاءها فى الصلاة: ترفق بنا يا إلهى(*) !

(*) عن برتولد فيرتيل.

عرس فى حقل القمح

فى ليلة شتوية باردة، وفى حقل من حقول القمح البور(*)، ضربت العروس موعدا لعريسها الذى مات فى الحرب.

ولما كانت الساعة تدق دقات منتصف الليل، من القرية المجاورة، فقد وقف أمامها فى سترة رمادية قاتمة، مستندا إلى بندقيته.

رأته على ضوء القمر الشاحب، بردائه المثقوب بالرصاص، كان وجهه فاقد الحياة ويداه شمعيتين.

وقفا صامتين فى حقل القمح، وراحا ينظران إلى بعضهما؛ لأن أحدا منهما لم يستطع أن يعبر بالكلمات عن ألمه العميق.

وقفا ساعة كاملة ولم يقولا كلمة واحدة؛ لأن الكلمات عندما تقترب من شفاههما تحتبس فى الحلوق وتجف.

والقمر الذى يلقى بالظلال الطويلة، يسبح فى مهب الريح الباردة، يجر معه ظليهما فيندمجان فى ظل واحد.

(*) بارت الحقول بعد أن جرفتها الدبابات ودفنت فيها الألغام. (المترجم)

ولما كان الظلان يتزاوجان، فى ليلة العرس الناصعة، خيل لعروس الجندى الشابة، كأن حبيبها يضحك ضحكة صافية.

ثم رأت يد الميت التى تدلت نحـــو الأرض، ترتفع ببطء وتطوقها، كأنها خاتم حديدى.

وفجأة نطق الفم المتجمد وقال لها: «تعالى نتمشى يا أحب الناس، طالما القمر يحمينا، وعيوننا ترى النجوم».

سارا فوق حقل القمح، الذى جرفته الدبابات، الحقل الذى رواه الدم، وسمدته الأذرع والسيقان، ورطبته أنفاس الموت.

قال الميت: «انظرى يا حبيبتى، هذا الحقل البور.. آه ! كم من الزمن مضى على هذا ؟.. قد زرعته يداى.

كنتِ واقفة هناك، حيث يهبط القمر الآن وراء السحب... هل مازلت تذكرين؟ عندها أشرت إلىَّ».

تنصت العروس وتصمت وتشعر بالذراع التى تطوق جسدها باردة كالثلج، .. فى ليلة عرسها، بينا هى الآن زوجته.

راحت تخطو بجواره مشدودة القوام، تحس بأن قلبها ثقيل ثقيل، وهو بجانبها يخبط الأرض بقدميه، متوكئا على سلاحه الصدئ.

لما رآها غارقة فى الصمت، بدأ هو الكلام. قال لها : «هل تعلمين يا حبيبتى أننى زرعت الألغام فى هذا الحقل الذى نمت فيه سنابل القمح؟

كانت هذه الألغام حبوبا غير عادية، دفنت في باطن الحفر، وأنا الذى زرعتها بيدى، حصدت ثمارها فى اليوم التالى.

كنت راقدا فى حفرة خلف الطريق، فى مخبأ مأمون.. فكرت في تلك اللحظة.. ثم اكتشفت أن فكرتي جاءت بعد فوات الأوان.

جاءت دبابات تتبعها دبابات ودبابات، فى أعداد لا تعد ولا تحصى ، زحف بالقرب منى جبل مهول، من الغبار والصلب والحديد.

سحق كل ما لم يستطع أن يلوذ بالفرار، ودفنه فى الأرض الرخوة، شعرت برئتى تنتزع من صدرى، وترتفع فى اتجاه القمر.

كانت الحرب بالنسبة إلىّ قد انتهت، وكذلك انتهى السلام وضاع.. هل يسعدك يا حبيبتى الغالية أننى حضرت اليوم إليك؟

أنا الآن بطل، بطل يا صغيرتى، بطل كما أردت وتمنيت.. أنت التى أشرت علىّ أن أتطوع فى الحرب قبل الأوان.

الفوهرر(*) قال : نريد مجالا للحياة..

والأب قال : نريد أراضى زراعية .. وأنت يا حبيبتى، أنت قلت لى: ارجع وعلى صدرك الوسام!

هل ترين اللغم الكائن هناك؟ أنا الذى دفنته فى الأرض بنفسى... تعالى يا أعز الناس، دعينا نستريح إلى الأبد» (**).

(*) أى القائد، والمقصود به هو هتلر..

(**) عن ماكس تسيمرنج.

سكاجيراك(*)

تذكروا الحمالين من سكاجيراك! لقد اختنقوا في الدم، اختنقوا في الوحل، غرقوا مع سفينتهم العتيقة، والبحر.. البحر جرفهم بعيدا. لأجل أي شيء ؟

عشرة آلاف ماتوا، سقطوا في أعماق البحر، عشرة آلاف فتحوا أفواههم الشاحبة : «لأجل أي شيء قد سقطنا ميتين، في سبيل أي شيء؟ لأجل شيء ليس بالكثير، لأجل شيء ليس بالكثير! فالسادة راحوا يمارسون لعبتهم، في قاعات البورصة الشاسعة! لأجل هذا قد سقطنا ميتين!».

العاصفة تنوح وتعول في سكاجيراك، تجلد أمواج البحر فتفور عالية. والحمالون، الحمالون في قبورهم المبتلة، يريدون أن يبعثوا إلينا برسالة: وُنهم يطالبون بصليب! إنهم يحذروننا

(*) اسم طريق بحرى يقع بين يوتلاند فى الدانمرك والنرويج، وقد جرت على شاطئه الحادثة التى ترويها – وتحذر منها – هذه الحكاية الشعرية.. (المترجم)

جميعا ويطالبوننا بأن نكون حذرين.. هؤلاء الجمالون!

البحر تزبد أمواجه على شواطئ سكاجيراك: والحمال يزحف من غمار القذر والغائط، ينزل من سفينته العتيقة المثقوبة، ويعرض علينا محنة ولده. فى سكاجيراك، فى سكاجيراك، يزحف الحمالون!

الحمالون يزحفون! ومن سكاجيراك، من سكاجيراك، تزحف العاصفة: لا تبنوا سفنا حربية! لا ! لا ! ازرعوا.. ازرعوا قمحا لتحصدوا الخبز! اسحقوا الحرب ومن ثم الحاجة والضنك! تذكروا الحمالين من سكاجيراك: لقد اختنقوا فى الدم وغرقوا فى الوحل! لو خطر لكم مرة أخرى أن تبنوا سفينة حربية، فسوف يصيبكم ما أصابهم! تذكروا الحمالين من سكاجيراك! لقد اختنقوا فى الدم وغرقوا فى الوحل، غرقوا مع سفينتهم العتيقة المثقوبة، والبحر.. البحر جرفهم بعيدا بعيدا(*).

(*) عن إميل جينكل.

مأساة فى أفغانستان

الثلج المغبر يتساقط من السماء، وأحد الفرسان يقف على أبواب «جلال أباد» - «من هناك؟» - فارس بريطاني، يحمل معه رسالة من أفغانستان.

«أفغانستان»! قالها بصوت خافت شديد الإرهاق. تزاحم نصف أهالي المدينة حول الفارس. وتقدم حاكمها السير روبرت سيل فمد له يده وأنزله من على الحصان.

قادوه إلى بيت الحراسة الحجرى، أجلسوه أمام الموقد. كم تدفئه النار، كم ينعشه الضوء! وها هو يتنفس الصعداء ويشكرهم ثم يقول:

- كنا ثلاثة عشر ألف رجل، وبدأنا الزحف من كابول، جنود، وقواد، ونساء وأطفال، نحن جميعا رحنا ضحية الهزيمة والخيانة.

تبدد جيشنا كله، ومن بقى حيا يجوب الآن أرجاء الليل فى ضياع وضلال. إذا كان الله قد منَّ علىَّ بنعمة الإنقاذ، فانظروا أنتم إن كان بوسعكم إنقاذ البقية الباقية.

صعد السير روبرت سيل على سور الحصن، تبعه الضباط والجنود أجمعون.. قال السير روبرت: «الثلج يتساقط بكثافة، الذين يبحثون عنا لا يمكنهم أن يعثروا علينا، فهم ضالون كالعميان وإن كانوا قريبين منا، أسمعوهم إذن ليشعروا أننا موجودون، غنوا أغنية فى حب الوطن والبيت، وأنتم أيها النافخون فى الأبواق، اجعلوها تتردد فى آفاق الليل البهيم».

عندئذ بدأوا النفخ فى الأبواق دون كلل أو إرهاق. ترددت فى الليل أصوات الأغانى واحدة بعد الأخرى. عزفوا فى البداية أغانى إنجليزية ذات ألحان بهيجة، ثم أتبعوها بأغانى المرتفعات التى تشبه الأنين.

طفقوا يعزفون ويغنون طوال الليل وطوال النهار، وترددت أصوات النداء العالية مشحونة بالحب والحنان. ظلوا ينفخون فى الأبواق وينشدون – حتى هبطت الليلة التالية – عبثا تنادون أيها المغنون وعبثا تسهرون..

الذين كان عليهم أن يسمعوا، عجزوا عن السماع، الجيش بأسره تبدد وقضى عليه. كان الزحف قد بدأ: ثلاثة عشر ألف رجل، لم يرجع منهم إلى بيته سوى رجل واحد من أفغانستان(*).

(*) عن تيودور فونتانه.

حكاية الجندى الميت

– ١ –

ولما دخلت الحرب في ربيعها الرابع، ولم تبشر بالسلام، اتخذ الجندى موقفه القاطع، ومات ميتة الأبطال.

– ٢ –

لكن الحرب لم تكن قد انتهت، لهذا شعر القيصر بالحزن؛ لأن جنديه قد مات: إذ بدا له ذلك قبل الأوان.

– ٣ –

الصيف زحف فوق القبور، والجندى راح فى نومه، وذات ليلة أقبلت بعثة عسكرية طبية.

– ٤ –

مضت البعثة الطبية إلى حقل الله البعيد، وبالمعول المبارك نبشت جثمان الجندى الصريع.

- ٥ -

الطبيب فحص الجندى بدقة، أو على الأصح ما بقى منه، والطبيب وجد أن الجندى لائق للخدمة، وخاف على نفسه من المسئولية.

- ٦ -

وعلى الفور أخذوا الجندى معهم، وكان الليل أزرق جميلاً، ومن لم يضع الخوذة على رأسه، استطاع أن يرى نجوم الوطن.

- ٧ -

دلقوا جرعة نارية من الكونياك فى جسده العفن، وعلَّقوا ممرضتين فى ذراعيه وامرأة نصف عارية.

- ٨ -

ولأن الروائح العفنة تنبعث من الجندى، فقد سار فى المقدمة قسيس، يهز فوقه مبخرة، لكى لا تنتشر رائحته الكريهة.

- ٩ -

فى المقدمة ترن الموسيقى تشندرارا، تعزف مارشا مرحا ولطيفا، والجندى - كما تعلَّم أثناء حياته - يقذف ركبتيه بعيدا عن مؤخرته.

- ١٠ -

وحوله يلف ذراعيهما ممرضان صحيان، حتى لا يسقط منهما فى الوحل، وهو شىء لا يصح أن يكون.

- ١١ -

لونوا كفنه بالأسود والأبيض والأحمر، وأخذوا يلوحون به أمامه، ولم تعد العين من زحمة الألوان تستطيع أن ترى الغائط المتساقط منه.

- ١٢ -

وسار فى المقدمة مشدود الصدر، رجل فى سترة رسمية سوداء، كان كرجل ألمانى، يدرك واجبه تمام الإدراك.

- ١٣ -

هكذا أخذوا على أنغام التشندرارا يهبطون الطريق المعتم، والجندى يترنح معهم، كنتفة الثلج فى العاصفة.

- ١٤ -

القطط والكلاب تصرخ، وفى الحقل تصفر الجرذان، حتى لا يظن أنهم فرنسيون، لأن هذا عار عليهم.

- ١٥ -

وعندما مرّوا بالقرى، كانت النساء كلهن هناك، الأشجار تحنى رءوسها، والبدر طالع والكل يصيح «هورا».

- ١٦ -

بالتشندرارا وإلى اللقاء، والنساء والكلاب والقسيس، والجندى الميت فى الوسط، كأنه قرد يتطوح سكران.

- ١٧ -

وعندما مروا بالقرى، لم يستطع أحد أن يراه. كثيرون كانوا ملتفين حوله، وهم يصيحون تشندرارا وهورا.

- ١٨ -

كثيرون رقصوا وهلّلوا له، فما استطاع أحد أن يراه. كان من الممكن أن يرى من أعلى، ولم يكن فوقه إلا النجوم.

- ١٩ -

والنجوم لا تلبث أن تغيب، ويأتى الغسق بحمرة الفجر، لكن الجندى، كما دربوه، يتقدم ليموت ميتة الأبطال(*).

(*) عن برتولت بريشت.

٨ - لما حمل الليل العاصفة على حجره..

حكاية عن الغنى والحاجة

فى قديم الزمان كان هناك أخ وأخته، وكان اسمهما الغنى والحاجة: كان يتلذذ بآلاف المتع، وكانت لا تكاد تجد الخبز الجاف.

عاشت الأخت تخدم الأخ على مدى مئات السنوات، لم يكن يؤثر فيه بكاؤها، ولا تعبيرها فى بعض الأحيان عن ألمها بالغناء.

كان يلعنها ويدوسها بقدميه، وكان يضربها على وجهها الناعم الرقيق، وكانت تركع على الأرض ضارعة: «إلهى! كن فى عونى!».

كيف ستنتهى الأغنية؟ إنها لأغنية حزينة! وأنا لا أريد أن أواصل الاستماع إليها، ما لم يحدث للأخت شىء ما !

هذه هى نهاية الأغنية، عن الغنى والحاجة، ففى صباح مشرق جميل، ضربت الأخت أخاها ضربة مميتة (*) !

(*) عن أدولف جلاسبرنر.

شارل الأول

في الغابة، في كوخ الفحّامين، يجلس ملك محزون ووحيد، يجلس أمام المهد الذى يرقد فيه ابن الفحام، يهدهده بصوت رتيب:

– «أيبا بوبيا، ماذا يخشخش فى القش؟ إنها الأغنام تثغو وتئن فى الحظيرة.. أنت تحمل العلامة على جبينك، وتبتسم فى نومك ابتسامة مخيفة.

أيبابوبيا، القطة الصغيرة ماتت.. أنت تحمل العلامة على جبينك.. – ستصبح رجلا وتهز البلطة فى يدك، وها هى ذى أشجار الصنوبر ترتجف فى الغابة.

تلاشت عقيدة الفحامين القديمة، ولم يعد أبناؤهم يؤمنون.. أيبابوبيا.. ، لا بالإله فى السماء ولا بالملك على الأرض.

القطة الصغيرة ماتت، والفيران الصغيرة فرحة وسعيدة.. صدر الحكم وقضى علينا .. أيبابوبيا.. على الإله فى السماء،

وعلىَّ أنا الملك على الأرض.

شجاعتى تنطفئ، قلبى مريض.. ومرضه يزداد كل يوم.. أيبابوبيا.. أنت يا طفل الفحام - وأنا أعلم هذا - أنت جلادى.

مرثية موتى هى أغنية مهدك.. أيبابوبيا.. سوف تحلق جدائل شعرى الأشيب قبلها.. وفى عنقى سيصلصل الحديد.

أيبابوبيا، ما الذى يخشخش فى القش.. لقد استوليت على المملكة، وستضرب عنقى حتى يسقط رأسى عن جذعى.. القطة الصغيرة ماتت.

أيبابوبيا.. ما الذى يخشخش فى القش؟ الأغنام تثغو وتئن فى الحظيرة. القطة الصغيرة ماتت، والفيران الصغيرة فرحة وسعيدة. نم، يا جلادى الصغير، نم» (*) !

(*) عن هينريش هينى.

النسّاجون

ما من دمعة واحدة فى العيون العابسة. إنهم جالسون أمام النول مكشّرين عن أسنانهم. «ألمانيا، نحن ننسج كفنك، ننسج فيه اللعنة المثلثة» نحن ننسج، ننسج!

– لعنة على الصنم الذى تضرعنا له، فى برد الشتاء وشدة الجوع، عبثا علّقنا الأمل عليه وانتظرنا صابرين، فاستهزأ بنا وسخر منا وعاملنا معاملة الحمقى.. نحن ننسج، ننسج!

– لعنة على الملك، ملك الأغنياء، الذى لم يستطع بؤسنا أن يرقق قلبه، والذى استنزف منا آخر قرش نملكه، وأمر بإطلاق الرصاص علينا كالكلاب. نحن ننسج، ننسج!

– لعنة على الوطن الزائف، الوطن الذى لا ينمو فيه غير الخزى والعار، وتقطف فيه كل الزهور قبل الأوان، وتنتعش الديدان على العفن والفساد. نحن ننسج، ننسج!

- المكوك يرف ويطير، النول يدوّم ويدوى، نحن ننسج بنشاط ليل نهار.. يا ألمانيا العجوز! نحن ننسج كفنك، ننسج فيه اللعنة المثلثة.. نحن ننسج، ننسج(*)!

(*) عن هينريش هينى.

أغنية للحصاد

هنالك ينمو حقل القمح الذهبى، يمتد ليصل إلى حافة العالم.

اطحنى، يا طاحونة، اطحنى!

تعصف الريح فى الأرض البراح، ترتفع الطواحين إلى حافة السماء. اطحنى، يا طاحونة، اطحنى!

يهبط الشفق المحمر المعتم فى المساء، يصرخ فقراء كثيرون يريدون الخبز. اطحنى، يا طاحونة، اطحنى!

تكنس العاصفة الحقول، لن يصرخ إنسان بعد من الجوع، اطحنى، يا طاحونة، اطحنى(*) !

(*) عن ريشارد ديميل.

٩ - صار العبد الخاضع سيِّد نفسه..

حكاية شجرة المانجو

شجرة المانجو عمرها آلاف السنين، آلاف القرود نامت على فروعها، آلاف الطيور بنت فيها أعشاشها. شجرة عمرها من عمر الدولة العظمى!

شجرة المانجو تقف في مكانها منذ آلاف السنين، آلاف البشر استراحوا في ظلها، وفلاحون من حقول الأرز، ومسافرون مع القوافل، وجنود.. أكثر من مائة جيل تمد عليهم شجرة المانجو ظلالها!

لكن ذات يوم هبت عاصفة على شجرة المانجو. سقط أحد غصونها على الأرض وصار حربة، ووقع أحدها في النار وتحول إلى مشعل ملتهب، وانكسر غصن ثالث فصار مقبض بندقية.

مائة بندقية، ألف بندقية، عشرة آلاف بندقية، من شجرة المانجو العتيقة العجوز(*).

(*) عن فريدريش فولف.

أم ألمانية

جاءوا في يوم الجمعة وأخذوا الشاب معهم. أمسك يدها بسرعة وقال لها : «لا تبكى!». لم تبك. شحب وجهها شحوبا شديدا من الرعب. شحوبا شديدا من الرعب. لم يكن لها سواه.

وقفت أمام النافذة حتى منتصف الليل. ثم جرت إلى قسم الشرطة.

– فى السابعة أخذوه من البيت.

– هانز فيشر؟ شارع يعقوب رقم ستة؟ غير موجود هنا.

أسرعت إلى رئاسة الشرطة.

– هانز فيشر؟ لا لم يسجل اسمه هنا.

– «لم يسجل؟» طالت وقفتها الخرساء. الوجه الشاحب البياض من الرعب.. «وأين أسأل عنه؟».

ضحكوا عليها.

– هذه حكاية عجيبة. ربما فى تمبلهوف، فى بيت كولومبيا.

مـضـت إلى هنـاك.. قـالت للحـارس الواقف على البـاب: «هـانز فيشر، يا سيدى العزيز، هل أفرج عنه؟».

– لا أعلم. هنا كثيرون مثله .

أمسكت يده: «إنه ابنى» .

– «اسألى إذن فى قسم الشرطة». وقفت شاحبة الوجه من الرعب. «سألت هناك بالفعل».

قـال الحـارس: «امـشى من فـضلك!». رجـعت إلى قـسم الشرطة. كان الصبح قد أشرق. «آه ! عمن تبحثين! هانز فيشر، شارع يعقوب.. إنه هنا».

جرت الدموع على وجهها: «هل أستطيع أن أكلمه؟ ألن يفرج عنه قريبا؟». قال الرجل الجالس أمام المائدة: «للأسف. لقد مات. كما أن منظره مؤلم».

بقى فـمـهـا مـفـتـوحـا. مع ذلك لم تخـرج منه كلمـة واحـدة. سـاقـوها في حـرص لتطل من البـاب. فى الصـبح البـارد وقـفت ذابلة متيبسة ثم سقطت كقطعة من الورق.

أمـام ألوف الأبواب تموت ألوف الأمـهـات. لكن ريحا وحـشـيـة ستهب ذات يوم، تذرو معها الرماد البارد لحزنهن، وسوف تتلوّن خدود الأمهات الشاحبة، وتنهض آلاف الأمـهات على أقدامـهن، يحملن فى أيديهن أعلام الأبناء الأموات(*) !

(*) عن إريش فاينرت.

أغنية الفلاحين

الأرض كانت عبئا علينا. والعمل كان بغيضا مكروها. لأجل أى شىء؟ لماذا؟ ما الداعى؟ فى سبيل من؟ فى سبيل رفاهية سادة أغراب!

أعطينا آخر ما لدينا. حتى فى القبر تثقل الأرض علينا. لأجل أى شىء؟ لماذا؟ فى سبيل من؟ ما الداعى؟

ثم هرب السادة فى أثناء الليل. وبقى بيت السادة مهجورا. لأجل أى شىء؟ فى سبيل من ؟ ما الداعى؟ لماذا؟

وزعت الأرض توزيعا عادلا، صار كل عبد سيد نفسه. فى سبيل من؟ ما الداعى؟ لماذا؟ لأجل أى شىء؟ ونحن مساء نقف أمام الأبواب.

الريح تسرى عبر حقولنا. والأرض أصبحت محببة إلينا. لماذا؟ فى سبيل من ؟ لأجل أى شىء؟ وما الداعى؟ نحن نقول الآن للأرض: «أنت أيتها الحبيبة!».

أنت يا من لا تتركين لنا أبدا فرصة للراحة. هيا نحتفل في عيد الحصاد! لماذا؟ لأجل أي شيء؟ ما الداعي؟ لأجل من؟

لأجل أن ينهض شعبنا، لبعثه الجديد. لأجل رخائنا ورفاهيتنا جميعا(*).

(*) عن يوهانيس بيشر.

نبذة عن كل شاعر
(حسب ورود أسمائهم فى النصوص) (*)

(*) سقطت من هذا التعريف الموجز أسماء ثلاثة شعراء هم: رودى شترال وماكس تسيمرنج وإميل جيتكل الذين لم أجدهم فى المراجع التى بين يدىّ وأحدثها هو معجم ركلام للأدباء الألمان المنشور سنة ٢٠٠١ فى مدينة شتوتجارت.. ولهذا أعتذر عن هذا الإغفال غير المقصود. (المترجم)

١ - جوته (يوهان فولفجانج: ١٧٤٩ - ١٨٣٢)

شـاعـر الألمان الأكـبـر، صـاحب «آلام فـيـرتر» و«فـاوست» و«الديوان الشرقى للشاعر الغربى» وغيرها من الأعمال الأدبية التى تعكس ألوان طيفـهـا كل الأنواع والأشكال الأدبيـة، وذلك بجانب أعماله النقدية والفكرية والعلمية عن الفن ونظرية الألوان والبصريات والنبات والتشريح والمعادن بحثا عن القوانين التى تتحكم فى التطور العضوى الحى. يرجع لقاؤه الأول مع الموروث الشعبى والأغنية الشعبية إلى سنة ١٧٧١ عندما سجل مجموعة من القصائد القصصية (البالادات) من منطقة الإلزاس، وذلك بتشجيع وتوجيه من الأديب وفيلسوف التاريخ هيردر «١٧٤٤ – ١٨٠٣»، كما يعد عام ١٧٩٧ هو عام «البالاد» الذى وصل فيه إنتاجه وإنتاج شيللر إلى ذروتهما الرفيعة وتجلى فيه فضل صداقتهما على التعاون الوثيق بينهما..

٢ - برنتانو (كليمنس؛ ١٧٧٨ - ١٨٤٢)

أثرت علاقته بجماعة الرومانتيكيين المبكرين فى يينا (أثناء دراسته للطب في جامعتها من ١٧٩٨ إلى ١٨٠٠) وصداقته مع آخيم فون أرنيم (١٧٨١ – ١٨٣١) الذى تعرف عليه خلال دراسته للفلسفة سنة ١٨٠١ فى جوتنجن – على تطوره الأدبى تأثيرا حاسما، وساعد تعرفه على عدد من الأدباء والعلماء الرومانتيكيين من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٨٠٨ فى مدينة هيدلبرج (مثل جوريس وكرويتسر) مع تعاونه الوثيق فى المدينة والفترة نفسها مع صديقه فون أرنيم على بلورة اتجاهه الرومانسى والاشتراك معه فى جمع وصياغة عدد كبير من القصائد القصصية والأغنيات الشعبية الألمانية القديمة التى نشرها تحت عنوان: «بوق الصبى العجيب» (١٨٠٦) وكان لها أثر كبير على انتشار «النغمة الشعبية» التى تميز بها الإنتاج الشعرى فى القرن التاسع عشر. ولبرنتانو أعمال روائية ومسرحية عديدة لم يكملها، بجانب أعمال شعرية أخرى فى «الرومانسة» والحكايات الشعبية التى لم يتمها أيضا، وتكشف جميعها عن الصنعة الفنية والموسيقية واللغوية المحكمة، والحس الغالب بالدعابة والسخرية، والاهتمام الشديد بالاغتراف من

ينابيع الموروث الشعبى القديم فى الشعر والأساطير والحكايات. وتشهد «بالاداته» - مثل «لورا لاى» التى تجدها فى هذه المجموعة - على قدراته التعبيرية والعاطفية الفائقة.

٣ - هيبيل (فريدريش: ١٨١٣ - ١٨٦٣)

نشأ فى ظروف بائسة، وتولى تعليم نفسه بنفسه بعد عجزه عن إتمام تعليمه العالى. استقر سنة ١٩٤٥ - بعد أكثر من إقامة فى هامبورج وهيدلبرج وميونيخ وروما - فى مدينة ڤيينا وعاش فى علاقة مع مسرح «البرج» العريق الذى تزوج - أيضا (سنة ١٨٤٦) - إحدى ممثلاته.. وهيبيل هو أعظم كاتب وشاعر مسرحى ألمانى فى القرن التاسع عشر، ويتناول مسرحه «التراچيدى» مشكلات الصراع بين الأنا والعالم، وبين الأجيال والعصور والحضارات. ومن أهم مسرحياته: «ماريا مجدالينا» و«هيروديس» و«ماريا منه» و«أجنيس بيرناور» و«أجينيس وخاتمه» و«النيبولنجن»، وتجمع مسرحياته وأشعاره بين العاطفة العميقة المؤثرة والتأمل الفكرى الدقيق، وبين التعبير الشخصى والتحليق فى الأجواء الرمزية، وبين المثالية والواقعية النفسية والجبرية. وقد تأثرت «بالاداته» و«رومانساته» التى نظمها فى

بداية حياته بالشاعر أولاند الذى اعتبره نموذجه ومثله الأعلى.

٤ - شيللر (فريدريش: ١٧٥٩ - ١٨٠٥)

شاعر مسرحى كبير، ومؤرخ، وقاص، وصاحب رسائل فلسفية وجمالية مهمة (تأثر فيها بفلسفة كانط) ومفكر مثالى انتصر بإرادته الحرة على ظروفه المادية والصحية البائسة.

ويعتبر عام ١٧٩٧ بالنسبة إليه - كما هو الحال مع صديقه جوته - هو عام «البالاد» أو القصيدة القصصية التى نشر معظم روائعه فيها حول هذا التاريخ وفى المجلة التى أسسها وهى مجلة «ربات الفنون». وشعره فى هذه القصائد يغلب عليه- كسائر أشعاره - الطابع الفكرى المثالى الذى يصل أحيانا إلى حد التحمس الخطابى، فـ «القفاز» دفاع عن فكرة الشرف أو الكبرياء التى تنتصر على عاطفة الحب، و«إبيكوس وأسراب الكركى» تصور من خلال الأمثولة الأخلاقية والتعليمية كيف يتم القصاص العادل من المجرمين القاتلين للمغنى والشاعر إبيكوس من خلال العرض الجمالى على خشبة المسرح لجوقة الممثلات اللائى يمثلن ربات الانتقام وينطقن باسمهن. وغنىٌّ عن الذكر أن «بالادات» شيللر تحتفظ مشاهدها وشخصياتها

بالطابع المسرحى الذى يشغل مكان القلب من إنتاجه الأدبى ويعبر عن صميم روحه الفنية والإنسانية الشامخة.

٥ - شاميسو (أدالبير فون: ١٧٨١ - ١٨٣٨)

ينحدر أصله من عائلة فرنسية نبيلة هربت سنة ١٧٩٢ من فظائع الثورة الفرنسية واستقرت سنة ١٧٩٦ فى برلين. عرف برحلته حول العالم ودراساته العلمية فى النبات والحيوان التى أوصلته فى سنة ١٨٣٥ إلى عضوية الأكاديمية العلمية، ولكنه اشتهر بقصته الخيالية البديعة التى تعبر عن حيرته بين وطنين- وهى الحكاية العجيبة لبيتر شليميل (١٨١٤) وتصور رجلا مسكينا يتنازل عن ظله للشيطان، ويحاول عبثا أن يعيش بلا ظل- واشتهر بأشعاره التى يتجلى فيها تحرره التدريجى من صور التعبير والتفكير الرومانسية واتجاهه إلى النقد الاجتماعى والواقعى، وتصوير حياة الناس العاديين مع الميل فى بعض القصائد القصصية إلى الحكايات والأساطير الشمالية ذات الطابع المأساوى الفاجع (راجع بالاداته الواردة فى هذه المجموعة مثل: «الحلاق المناسب» و«الشحاذ وكلبه» وكذلك «لعبة العمالقة» و«ملك من الشمال»..) ومما يذكر أنه كتب فى بداية

حياته بالفرنسية، ثم اتجه بعد العشرين من عمره إلى الكتابة بالألمانية، وأن قصائده القصصية تأثرت بالشاعر الفرنسى بيرانجيه.. الذى قام بترجمته إلى الألمانية.

٦ - أولاند (لودفيج، ١٧٨٧ - ١٨٦٢)

من أهم ممثلى الرومانتيكية المتأخرة فى منطقة «شفابين»، وتذكر له مشاركته الفعالة فى السياسة وفى الكفاح من أجل قيم الديمقراطية والليبرالية والحرية. تخلى فى أواخر حياته عن معظم مناصبه الإدارية والسياسية والتعليمية، وتفرغ للأدب وللبحث العلمى فى الأدب الشعبى والحكايات والأساطير الجرمانية الوسيطة، وشارك فى تجميع وتحرير أول مجموعة علمية من الأغانى الشعبية، وذلك بجانب بحوثه فى الأدب الألمانى وإحياء تراث أكبر شاعر ألمانى فى العصر الوسيط، وهو: فالتر فون دير فوجيلفيده، والتعاون مع الأخوين جريم – المشهورين بمجموعة الحكايات الشعبية للأطفال وبتأسيس المعجم الشامل للغة الألمانية – فى وضع أسس علم الأدب الشعبى. عرف بقصائده الرومانسية، العاطفية والوطنية، وبقصائده القصصية التى استمد مادتها من التاريخ والأساطير

والحكايات الشعبية الجرمانية والشمالية، وتميز بلغته البسيطة وتعبيره العاطفى وقدرته على التشكيل المرن لقصائده التى قام بتلحينها عدد كبير من كبار الموسيقيين مثل: شوبرت وشومان وليست وبرامز..

(راجع بالاداته فى هذه الجموعة مثل: «ابنة صاحبة الفندق» و«لعنة المغنى» و«قصر على البحر»).

٧ - هينى (هينريش: ١٧٩٧ - ١٨٥٦)

نشأ فى عائلة يهودية من التجار ورجال البنوك والأعمال. درس الحقوق والأدب فى جامعات بون وجوتنجن (التى طرد منها بسبب تورطه فى مبارزة!) وبرلين (حيث استمع إلى محاضرات هيجل، وزار جوته فى شهر مايو سنة ١٨٢٥ زيارة آلمته بسبب تجاهل «إمبراطور الشعراء» وتعاليه!) وفى العام نفسه تخلى عن اليهودية ودخل المسيحية البروتستنتية وحصل على الدكتوراه فى القانون من جامعة جوتنجن. تعددت رحلاته وأسفاره بين لندن وإيطاليا وبعض المدن الألمانية إلى أن استقر منذ سنة ١٨٣١ نهائيا فى باريس حيث عمل مراسلا لجريدة ألمانية تصدر فى أوجسبورج، ولبعض الصحف الفرنسية،

واتصل بكبار الشعراء والأدباء الفرنسيين - مثل هيجو وديما وبلزاك وجورج صاند - كما انضم إلى جماعة السان سيمونيين. صودرت كتاباته وأعماله فى ألمانيا - بسبب جرأته وسخريته الجارحة - بقرار من البرلمان الألمانى فى سنة ١٨٣٥. بدأ يعانى منذ سنة ١٨٣٧ من مرض فى عينيه، ومنذ سنة ١٨٤٨ من شلل فى العمود الفقرى ألزمه الفراش بقية حياته إلى أن وورى التراب فى مقبرة مونمارتر بباريس.

من أهم وأعذب الشعراء الألمان فى مرحلة الانتقال من الرومانتيكية إلى الواقعية، وقد انطبع إنتاجه بطابع التمزق بين المرحلتين، وبالاكتئاب مع الدعابة والسخرية والتهكم المر من واقع اختفت منه القيم المثالية والإنسانية السابقة، واقتضى منه الارتفاع فوقه والتخلص من كل الأوهام التراثية والعاطفية. ظهر تفوقه فى قصائده فى «كتاب الحب» وفى السوناتات والأغانى ذات الطابع الرومانسى والشعبى التى أكسبته شهرة واسعة، والقصائد السياسية والنقدية الاجتماعية التى ارتفعت فيها نبرة السخرية العدائية الحادة وتأثر فيها بالحركة الثورية المتمردة التى أطلقت على نفسها اسم: «ألمانيا الشابة» (لا سيما فى ملحمته الشعرية: ألمانيا، أسطورة شتاء). ولكن شعره الغنى

بالصور الفنية والألم الكونى والعذوبة والدعابة يتجلى فى أروع أشكاله وأنغامه فى قصائده القصصية (أو بالاداته) التى أثرت- مع مجمل إنتاجه الشعرى والنثرى المتنوع - تأثيرا واسعا على شعراء العصر الحاضر، لا سيما الشعراء من ذوى الاتجاه النقدى الساخر والمحتج.. (راجع فى هذه المجموعة بعض قصائده القصصية العامة مثل: بنو عذرة، وأنثى، ووادى الآلام، والنساجون، وشارل الأول: وهو ملك إنجلترا وإسكتلندا من ١٦٠٠ إلى ١٦٤٩ الذى تسبب فى نشوب حربين أهليتين وحوكم فى وستمنستر ورفض الدفاع عن نفسه فاعتبر ذلك اعترافا بجرائمه وأدين وحكم عليه بالإعدام فى «وايتهول» بقطع رأسه).

٨ - كيستنر (إريش، ١٨٩٩ - ١٩٧٤)

بعد خدمة عسكرية فى الحرب العالمية الأولى حصل على الثانوية سنة ١٩١٩، ثم درس الأدب الألمانى والتاريخ والفلسفة وعلوم المسرح فى روستوك وبرلين ولايبزيج حيث قدم رسالته للدكتوراه سنة ١٩٢٥ واشتغل بعدها محررا أدبيا فى صحف عديدة.. منع فى عهد النازيين من الكتابة، وحضر بنفسه حريق الكتب المشهور فى برلين (ومن بينها كتبه!) وأخذ ينشر كتبه

خارج بلده. كتب في سنة ١٩٤٢ سيناريو فيلم «منشهاوزن» تحت اسم مستعار، وأشرف على الصفحات الثقافية فى «الجريدة الجديدة» من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٧ فى مدينة ميونيخ التى استقر فيها متفرغا للكتابة الحرة. اكتسب شهرته من الكتابة للأطفال (ومن أشهر كتبه: إميل والمخبرون، ومؤتمر الحيوانات، وغيرهما) ومن أشعاره الساخرة التى يتجه فيها لرجل الشارع ويعالج قضايا الحياة اليومية وأزماتها ومشكلاتها العينية بروح التهكم والدعابة الإنسانية الصافية. عرف كذلك برواياته التى تسجل ظواهر التدهور الأخلاقى والاجتماعى فى الثلاثينيات ومنذ عهد جمهورية فيمار (ومن أهمها روايته: فابيان، تاريخ رجل أخلاقى) وحرصه على البعد عن اتخاذ أى موقف سياسى. ومع ذلك فقد اتجه فى محاضراته ومقالاته ومشاركته فى الكباريه الغنائى والأدبى (الحرية الصغيرة ١٩٥١) إلى اتخاذ موقف الرفض لإعادة تسليح ألمانيا ونقد ما سمى آنذاك بالمعجزة الاقتصادية، وانتقاد الدعوة للتنكر للماضى والتراث. تألق كذلك فى مسرحيته الشهيرة: «مدرسة الطغاة» ١٩٥٦ وفى مذكراته وإبيجراماته وقصائده التى تشيع فيها روح السخرية العذبة وتتسم بقدر كبير من البساطة والوعى والموضوعية والعمق أيضا.

(راجع البالاد الوحيدة التى اقتبسناها منه وهى رومانسة موضوعية..).

٩ - فيمان (فرانز: ١٩٢٢ - ١٩٨٤)

من كبار كتاب ألمانيا الشرقية السابقة. جند فى الحرب العالمية الثانية وشارك فى المعارك التى دارت فى أوكرانيا واليونان وأسر سنة ١٩٤٥ فى الاتحاد السوفييتى السابق حيث بقى فى الأسر أربع سنوات. تخلى عن اتجاهاته الفاشية المبكرة واتجه إلى الماركسية بعد عكوفه على دراستها، وانضم إلى الحزب الديمقراطى الوطنى الذى عُيِّن فيه سكرتيرا مسئولا عن الشئون الثقافية. تفرغ منذ ١٩٥٨ للكتابة الحرة وأصبح قدوة لشباب الأدباء الذين بذل كل جهده لتشجيعهم ورعايتهم. تسجل أشعاره وكتاباته القصصية والروائية ومذكرات رحلاته ومقالاته مدى اهتمامه بموضوع «الماضى» بكل أخطائه وفظائعه، وبقضايا الذنب والضمير والمسئولية، وبتسليط النقد على الحياة اليومية فى ألمانيا الشرقية، ومعالجة التناقض الواضح فى العلاقات بين الفرد والمجتمع فى ظل التطبيق الاشتراكى الردىء، كل ذلك بجانب انشغاله فى نثره وشعره بموضوعات

ومواد مستمدة من الأساطير، واهتمامه الشديد بالكتابة للأطفال وتلخيص الأعمال الأدبية العالمية لهم، وبالترجمة عن عدد من اللغات السلافية (راجع في هذه المجموعة قصيدتيه القصصيتين: طوبى للعصيان، وصبيُّ الشيطان..).

١٠ - ريكرت (فريدريش: ١٧٨٨ - ١٨٦٦)

درس علم اللغة في جامعتي فيرتسبورج وهيدلبرج، ثم حصل في سنة ١٨١١ على الدكتوراه من جامعة يينا التي اشتغل فيها محاضرا لفترة قصيرة. درس اللغات الشرقية في ڤيينا على يد المستشرق المعروف يوسف فون همر بورجشتال (الذي اعتمد جوته في ديوانه الشرقي على ترجماته العديدة عن الأدب الفارسي). وعلى الرغم من تفرغه لبحوثه الاستشراقية وترجماته المبدعة عن عدد كبير من اللغات الشرقية، ومنها العربية (التي ترجم عنها جزءا كبيرا من القرآن الكريم، وعشر مقامات للحريري، وديوان الحماسة وغيرها) فقد شغل منصب الأستاذية للغات الشرقية في جامعة ارلانجن من سنة ١٨٢٦ إلى سنة ١٨٤١، كما قام بالتدريس بين سنتي ١٨٤١ و١٨٤٨ في جامعة برلين، ثم عاش متفرغا لبحوثه وترجماته في ضيعته الصغيرة

بالقرب من مدينة كوبرج. تميز ريكرت بإنتاجه الشعرى الخصب وبترجماته التى لا حصر لها عن لغات شرقية بلا حصر أيضا.. وقد لقى الظلم فى حياته وبعد موته أيضا من المستشرقين الذين لم يعتبروه علميا بما فيه الكفاية، ومن الشعراء الذين اعتبروه مستشرقا وحسب (وذلك إلى أن أنصفته المستشرقة الكبيرة آن - مارى - شيميل التى وضعت كتابا عن حياته وأعماله ونشرت وحققت بعض ترجماته، ومنها ترجمته - المسجوعة! - الرائعة لمقامات الحريرى..) يقال أنه كتب ما يزيد على عشرة آلاف قصيدة، تميزت من بينها: «سوناتة أماريل» و«السوناته المسلحة» (التى كتبها سنة ١٨١٤ متأثرا بحرب التحرير الوطنية من قبضة نابليون) وأغنيات موت الأطفال ١٨٣٣ - ١٨٣٤ التى بكى فيها اثنين من أصغر أبنائه، وقد نشرت بعد وفاته ولحنها الموسيقار جوستاف مالر. وتؤكد ترجماته - أو بالأحرى محاكياته الخلاّقة للعديد من النصوص العربية والفارسية والهندية والصينية - تفرده وتفوقه كمستشرق شاعر أو كشاعر مستشرق، كما يعبر كتابه «حكمة البراهمة.. قصيدة تعليمية فى شذرات» - الذى أعاد فيه إنتاج مختارات متفرقة من أدب الشرق والغرب - عن شخصيته وأسلوبه فى التفكير والعمل، وطموحه كشاعر لم يقدر

له النجاح دائما (خصوصا فى ثلاثيته عن حروب التحرير من احتلال نابليون، وفى مسرحياته العديدة التى لم يكد يذكرها أحد فى حياته ولا بعد موته!) راجع عنه فى العربية كتاب : ريكرت عاشق العربية، للدكتور محمد عونى عبد الرءوف.

١١ - جرين (أنا ستازيوس، ١٨٠٦ - ١٨٧٦)

فارس وسليل أسرة من النبلاء. درس الفلسفة والحقوق بجامعتى جراتز وڤيينا، وتفرغ منذ سنة ١٨٣١ لإدارة ضيعته وقصره فى تورن على نهر الهارت. تقلَّد مناصب سياسية عديدة طبعت شعره بطابع سياسى وليبرالى ونقدى ملحوظ جعله قدوة لحركة «ألمانيا الشابة» وساهم بترجماته للأغنيات والبالادات الإنجليزية القديمة والسلوفانية فى نهضة الأدب الشعبى، كما سجل بمجموعته الشعرية : «نزهات شاعر من ڤيينا» التى نشرها تحت اسم مستعار وهاجم فيها نظام «ميترنيخ» القمعى – بداية الشعر السياسى لحركة «ما قبل مارس» الأدبية.

(راجع قصيدته القصصية «مرسال» فى هذه المجموعة..)

١٢ - بريشت (برتولت، ١٨٩٨ - ١٩٥٦)

شاعر وكاتب مسرحي وروائي ومخرج ومنظّر للمسرح الملحمي. احتفل العالم قبل خمس سنوات بمئوية ميلاده، فقرئت أشعاره في الندوات وعرضت مسرحياته على الخشبة المسرحية في أوروبا وأمريكا وآسيا والعالم كله - ربما باستثناء العالم العربي الذي اشتهر فيه في الستينيات وتأثر به العديد من الشعراء وكتاب المسرح والنقاد والدارسين، ثم نُسي بعد ذلك نسيانا يوشك أن يكون تاما! - بدأ حياته بدراسة الآداب والطب، وجند في الحرب العالمية الأولى كممرض في مسقط رأسه «أوجسبرج» لفترة قصيرة أثرت على مسرحياته الثلاث المبكرة في المرحلة المعروفة بالمرحلة التعبيرية من إنتاجه المسرحي. توقف بعد الحرب عن دراسة الطب وواصل الكتابة ودراسة علوم المسرح. ثم تعاقد معه مسرح الغرفة في ميونيخ على العمل كمسئول عن النصوص المسرحية (دراما تورج) بعد النجاح الساحق لثالثة مسرحياته سابقة الذكر وهي «طبول في الليل» (١٩٢٢) وانتقل إلى برلين للعمل مع المخرج الشهير ماكس راينهارت حيث عرضت بعض مسرحياته على «المسرح الألماني»، ولكن النجاح الأكبر سعى إليه مع عرض أوبراه

الشهيرة: «أوبرا القروش الثلاثة» على مسرح «الشفباوردام» - الذى كرسته له الدولة الاشتراكية السابقة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وفى سنة ١٩٢٨. هاجر مع أسرته إلى الدانمرك سنة ١٩٣٣ بعد وصول هتلر وعصابته إلى السلطة، ثم انتقل منها إلى السويد (١٩٣٩) وفنلندا (١٩٤٠) إلى أن سافر للولايات المتحدة الأمريكية واستقر فى سانتا مونيكا بكاليفورنيا حتى قدم للمحاكمة أمام لجنة النشاط المعادى لأمريكا فى يوم الثلاثين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧. وقد سافر فى اليوم التالى مباشرة إلى زيورخ عبر باريس، حتى انتهى به المطاف إلى الإقامة فى القسم الشرقى من برلين عاصمة ألمانيا الديمقراطية السابقة، والتفرغ منذ سنة ١٩٤٩ «لفرقة برلين» المسرحية التى أسسها مع زوجته الممثلة الشهيرة هيلينا فايجيل وتخصصت فى عرض تجاربه المسرحية مع بعض المسرحيات القليلة لمؤلفين آخرين (مثل: شكسبير، ولنس، وموليير وغيرهم) وقد حصل فى أواخر حياته - على الرغم من العلاقة المتوترة بينه وبين الدولة الاشتراكية وحزبها الواحد - على العديد من جوائز التكريم، وذلك بعد أن لمع اسمه كواحد من أكبر كتاب المسرح العالمى فى النصف الأول من القرن العشرين.

ظل إنتاج بريشت المسرحى والقصصى والشعرى مرتبطا أشد الارتباط بعصره ومحنته الكبرى، وهى الحرب والحكم الأسود لقطعان النازية، ولذلك توجه هذا الإنتاج فى المقام الأول إلى الإنسان العادى أو «الرجل الصغير» لتنويره وحثه على الوعى النقدى بتناقضات واقعة، والكشف عن زيف الأساطير والأوهام الفاشية التى خدعته وجرته مع الملايين إلى المذبحة الكبرى، والتحريض على ضرورة «التغيير» الذى يلخص بكلمة موجزة رسالته الأدبية والفنية..

وقد تميز شعر بريشت - الذى ارتبط فى الجانب الأكبر منه بمحنة عصره وبكفاحه فى سبيل التنوير والتغيير - ببساطته وسهولته الممتنعة، وموضوعيته التى يندر معها أن تجد له شعرا ذاتيا (ربما باستثناء بكائياته على نفسه وعلى عصره فى قصائد مثل: برتولت بريشت المسكين، وإلى الأجيال المقبلة، ومرثيات بوكو..) ومعالجته لكل الأشكال الشعرية المعروفة، من البالاد ذات الوزن والقافية ، إلى قصائد الشعر الحر، إلى السوناتة والإبيجرام والشعر التعليمى والملحمة والقصة الشعرية والأغنيات الشعبية والمعارضات لبعض عيون التراث الشعرى الكلاسيكى.. (راجع فى هذه المجموعة قصيدتيه القصصيتين

عن الجندى الميت وعن نشأة كتاب الطريق والفضيلة – تاو – تى – كنج للحكيم الصينى لاو – تزو، وراجع إن شئت مجموعة أشعاره التى نقلها كاتب السطور إلى العربية وظهرت تحت عنوان «هذا هو كل شىء .. قصائد من بريشت» فى دار شرقيات بالقاهرة ١٩٩٩ مشاركة فى الاحتفال بذكراه المئوية).

١٣ - هيردر (يوهان جوتفريد، ١٧٤٤ - ١٨٠٣)

هو فيلسوف التاريخ المشهور (فلسفة للتاريخ لتثقيف الإنسانية ١٧٧٤، وأفكار عن فلسفة تاريخ البشرية ١٧٨٤ – ١٧٩١ وغيرهما) والأديب الملهم لحركة «العصف والدفع» الأدبية والحث على جمع واستلهام التراث الشعبى لدى الشعوب القديمة كافة، لا سيما فى الأغنية الشعبية التى نقل منها بنفسه عددا كبيرا فى كتابيه: «أغانى شعبية قديمة» ١٧٧٤، و«أصوات الشعوب فى أغانيها» ١٨٠٧، وتوجيه أدباء الشباب فى ذلك الحين (لا سيما جوته!) إلى الاهتمام بالأدب الشعبى وقراءة شكسبير. تميز بأسلوبه التأثيرى والوجدانى المجنَّح، وبنزعته المضادة للعقلانية والتنوير، ولفته أنظار معاصريه إلى فكرة التطور التاريخى والعضوى الحىّ، وإلى فهم لغة وأدب وثقافة

أى شعب من الشعوب اعتمادا على ظروفه التاريخية السابقة والشروط المحددة لطبعه ومناخه وأرضه، بحيث يعتبر - بفكرته الخصبة عن التاريخ كعملية تطور ونمو شبيه بالتطور العضوى فى النبات والكائنات الحية - مؤسس فلسفة التاريخ الحديثة فى ألمانيا. يذكر له تأثيره سابق الذكر وترجماته الجميلة عن الشعر الإغريقى والشعر الشرقى.. (راجع قصيدته القصصية: إدوارد، المترجمة عن الأدب الإسكتلندى القديم).

١٤ - موريكه (إدوارد: ١٨٠٤ - ١٨٧٥)

تقلد منصب الواعظ والقسيس فى عدد من القرى والمدن الصغيرة بالجنوب الألمانى، ثم عمل أستاذا للأدب فى شتوتجارت التي عاش فيها منطويا ومعتزلا حتى وفاته. يعد بجانب «هينى» من أهم الشعراء الألمان فى المرحلة الفاصلة بين الرومانتيكية والواقعية، وقد تأثر شعره العاطفى والموسيقى الرقيق بشعر جوته والرومانسيين وبروح الأغنية الشعبية وأشكال وأوزان الشعر الكلاسيكى القديم مع بساطة آسرة فى أغانيه المشبعة بالأنغام الشعبية، والاهتمام بتصوير رؤيته وتجربته للطبيعة فى صور أسطورية وخيالية مثيرة تشى

بالصفاء والبساطة والدعابة والمرح مع الاحتفاظ بالروح الموضوعية والاهتمام بالملموس والمحسوس فى «بالاداته» الطبيعية. تميز أيضا بقصصه القصيرة المحكمة، لا سيما قصته الشهيرة عن: «رحلة موتسارت إلى براغ»، وكذلك بروايته «ماره نولتن» التى وقع فيها تحت تأثير رواية جوته «فيلهلم ميستر»، وبترجماته المتواضعة عن الشعر الإغريقي والروماني (أناكريون وثيو كريت وكاتول) وبرسائله المؤثرة المعبرة.. (راجع فى هذه المجموعة قصيدته القصصية: التتويج الحزين).

١٥ - رنجلناتز (يواخيم: ٢٨٨٣ - ١٩٣٤)

ولد لأب كان يعمل مؤلفا لكتب الصبية والشباب، درس بعض الوقت فى مدينة لايبنزيج، ثم عمل – بغير علم أبويه – على إحدى السفن وتقلب بين أعمال ومهن مختلفة فى البر والبحر، منها الصحافة الفكاهية والأرشيف والمكتبات والمسرح، عانى مرارة البطالة والجوع بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حتى اكتشفه صاحب مسرح: «الصوت والدخان» فى برلين وكان يقرأ فيه أشعاره المرحة الفكهة والمأساوية الفاجعة فى وقت واحد، وبقى مواظبا على العمل فيه حتى سنة ١٩٣٣. وهو شاعر

«الكاباريهات الأدبية» الساخر يجاور عنده المعقول مع اللامعقول، والعمق مع الحمق، والنكتة الصارخة مع الحس النقدى اللاذع لعصره وواقعه، والقصيدة الرائعة المؤثرة مع أغنيات «البحر» الساذجة الفجة المتخمة بالجرائم المهولة (على طريقة الأغانى الشعبية التى عرفت باسم «الموريتات»)، وتكمن تحت السطح الضاحك المرح لأشعاره أعماق شديدة الكآبة والحساسية للألم والبؤس الإنسانى. له إلى جانب أشعاره كتابات نثرية وذكريات عديدة عن حياته مع البحر والمغامرة.. (راجع له فى هذه المجموعة قصيدته عن الطفلة الساحرة).

١٦ - ميكيل (كارل؛ ١٩٣٥ - ٢٠٠٠)

درس الاقتصاد وتاريخه فى برلين الشرقية (سابقا) وعمل بعد ذلك صحفيا فمعيدا فى المدرسة العليا للاقتصاد، ثم التحق فى سنة ١٩٧٨ بفرقة برلين المسرحية (لبريشت وزوجته هيلينا فايجل) التى تولى فيها مسئولية النصوص المسرحية، وقام بعدها بالتدريس فى مدرسة التمثيل فى برلين الشرقية إلى أن انتقل إلى مدرسة «إرنست بوش» العليا لفن التمثيل التى شغل فيها منصب الأستاذية منذ سنة ١٩٩١ حتى وفاته.

يمتد قوس الكتابة الإبداعية عند ميكيل ليشمل الشعر والرواية والدراما، ولكن الشعر يحتل مركز القلب من نشاطه الأدبى والفنى. اكتسب فى الستينيات شهرته كشاعر مجدد يحاول أن يفتح للشعر فى ألمانيا الشرقية السابقة آفاقا جديدة (تشهد على ذلك مجموعة الأشعار المنتخبة التى جعل عنوانها: «فى هذا البلد الأفضل.. قصائد من ألمانيا الشرقية منذ سنة ١٩٤٥» كما تدل عليه أشعاره التحريضية المبكرة (مثل مجموعة قصائده بعنوان: مدائح وشتائم) بالإضافة إلى مجموعته التالية بعنوان «حياتى الجديدة» التى حاول فيها أن يقابل بين المأثور والجديد، والعامية والفصحى، ومواقف الحياة اليومية وأصحاب الجباه العالية، مما أثار عليه النقاد الماركسيين المتزمتين (راجع فى هذه المجموعة قصيدته القصصية عن: الطفل الواقف أمام باب الجنة).

١٧ - فيرتيل (برتولد: ١٨٨٥ - ١٩٥٣)

شاعر وقاص وكاتب مسرحى نمسوى. درس الفلسفة والتاريخ فى ڤيينا وشارك مشاركة فعالة فى الصحافة النقدية الفكهة (فى المجلة الساخرة سمبليسيزموس ومجلة الشعلة التى

كان يصدرها الكاتب الساخر كارل كراوس) وفى العمل المسرحى بالمساهمة فى تأسيس عدد من المسارح (كالمسرح الشعبى فى مدينة ڤيينا والمسرح التجريبى «الفرقة» وغيرهما) وفى الإخراج للمسرح والسينما فى هوليود بعد هجرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة ١٩٣٨ حتى عودته إلى ڤيينا سنة ١٩٤٧ لمعاودة نشاطه المسرحى والترجمى عن الأدب الأمريكى. قام بدور كبير فى حملة الدعاية التى كانت تقوم بها إذاعة الـ بى . بى. سى البريطانية ضد النازية، وفى سنواته الأخيرة كرس شعره للهجوم على الفاشية (راجع على سبيل المثال قصيدته القصصية فى هذه المجموعة عن أجراس إيرفورت).

١٨ - فونتانه (تيودور: ١٨١٩ - ١٨٩٨)

تقلب معظم حياته بين العمل بالصيدلة والصحافة (عمل مراسلا حربيا خلال الحملات العسكرية والحرب بين ألمانيا وفرنسا من عام ١٨٦٤ إلى عام ١٨٧١) والنقد المسرحى وسكرتارية أكاديمية الفنون فى برلين: اتجه إلى الأدب متأخرا، ولكن إنتاجه الروائى والشعرى ظل متدفقا فى شيخوخته وحتى

وفاته. يمثل فونتانه برواياته وشعره القصصى مرحلة اكتمال الواقعية الألمانية، وقد بدأ حياته مع الشعر بكتابة قصائد يكسوها الأسى والحنين، ثم اكتسب شهرته كشاعر قصائد قصصية شعبية احتذى فيها نماذج «البالاد» الإنجليزية والإسكتلندية مقتبسا مادتها من التاريخ الإنجليزى والإسكتلندى القديم أو من الشخصيات البروسية فى عصره، وتميز بأسلوبه المكثف المقتصد والمعبر فى الوقت نفسه عن القلق والتوتر النفسى. وقد اتجه إلى الكتابة الروائية بعد بلوغه الستين من عمره فبدأ بالرواية التاريخية على طريقة الإنجليزى سكوت، ولكنه لم يجد طريقه الخاص فى الرواية إلا بعد السبعين عندما عالج كتابة الرواية الواقعية من بيئته المحيطة به فى برلين ومنطقة المارك براندنبرج التى صورها تصويرا واقعيا وموضوعيا بلغ الغاية من دقة الملاحظة والبراعة فى رسم الشخصيات والحوار الذكى المعبر مع ميل شديد إلى التأمل والحكمة الملائمين لكبر سنه ونضجه.. (راجع فى هذه المجموعة قصيدته القصصية: مأساة من أفغانستان..)

١٩ - جلاسبرنر (أدولف: ١٨١٠ - ١٨٧٦)

ولد في برلين ومات بها. تفرغ منذ سنة ١٨٣٠ للكتابة الحرة والعمل الصحفي والسياسي، وعرف بأسلوبه الساخر - على طريقة أهل برلين وبلهجتهم وروحهم الشعبية بارعة الدعابة والنكتة - الذي وصل في سخريته السياسية والنقدية الاجتماعية إلى حد مصادرة كتاباته وطرده في الأربعينيات من برلين التي لم يرجع إليها إلا في أواخر الخمسينيات وبعد فشل ثورة ١٨٤٨ لمتابعة كتاباته المرحة وأشعار في بعض الصحف التي أصدرها ومنها صحيفة برلين الصباحية منذ سنة ١٨٦٨ حتى سنة وفاته.

(راجع قصيدته القصصية المفعمة بالسخرية المؤلمة أو بالألم الساخر وهي: حكاية الغني والحاجة).

٢٠ - ديميل (ريشارد: ١٨٦٣ - ١٩٢٠)

بعد دراسة الاقتصاد والفلسفة والعلوم الطبيعية في برلين ولايبنزيج، حصل على الدكتوراه في سنة ١٨٨٧ وعمل في إحدى شركات التأمين، ثم تفرغ للكتابة الحرة منذ سنة ١٩٠١. تطوع في الحرب العالمية الأولى، شارك بعد انتهائها في تأسيس مجلة

الفنون : «بان». وبدأ منذ سنة ١٨٩١ فى نشر قصائده التى رحب بها القراء والنقاد واعتبروه من أعظم الشعراء الألمان المعبرين عن حس جديد وجرىء بالحياة والحب، ورؤية فنية متحررة من التقاليد الأخلاقية الدينية ومضادة لتصورات أصحاب النزعة الطبيعية التى سادت فى ذلك الحين، وتجلت هذه الرؤية المزعجة للأعراف البرجوازية فى روايته «إنسانان» وهى قصة حب مؤلفة من «رومانسات» تمجد الحب والجمال وقوة الإيروس (العشق) وإرادة الحياة، متأثرا فى ذلك بفلسفة الحياة عند نيتشه إلى الحد الذى جعل التعبيريين يعتبرونه أحد رواد «صرختهم» فى سبيل الحرية والحب والخلاص والإنسانية.. وتتجلى أفكاره فى الإصلاح الاجتماعى والأخلاقى والارتفاع بالحب إلى مستوى السر الكونى (راجع فى هذه المجموعة قصيدته: أغنية الحصاد..).

٢١ - فولف (فريدريش: ١٨٨٨ - ١٩٥٣)

ولد فى «نويفيد» على شط الراين لعائلة يهودية من الطبقة الوسطى، وهرب من بيت أبويه إلى ميونيخ ثم إلى روما ليتعلم فن التصوير. عمل فى صباه على البواخر التى تمخر نهر

الراين، ثم درس الفلسفة والطب فى برلين وبون واشتغل طبيبا علي السفن البحرية وفى الحرب العالمية الأولى، ثم انضم بعد انتهائها إلى حركة اليسار الاشتراكى وإلى الحزب الشيوعى. هاجر فى سنة ١٩٣٣ إلى سويسرا وفرنسا هربا من جحافل النازية، وشارك فى الحرب الأهلية الإسبانية فى صفوف الشيوعيين، وبعد اعتقاله فى فرنسا سنة ١٩٣٩ على أثر احتلالها هرب إلى الاتحاد السوفييتى السابق وعمل فى الإذاعة وجبهات القتال فى الدعاية ضد النازية، ثم رجع بعد انتهاء الحرب إلى برلين الشرقية حيث عمل طبيبا وسفيرا لبلاده فى وارسو وشارك فى الحياة المسرحية. عرف كقاص وكاتب مسرحى اشتراكى وشاعر عالى النبرة ومحرض على الكفاح «بسلاح الفن» فى سبيل الثورة الاشتراكية والمسرح الاشتراكى الذى أعطاه معظم جهده واهتمامه.. (راجع له فى هذه المجموعة قصيدته الثورية عن شجرة المانجو).

٢٢ - فاينرت (إريش: ١٨٩٠ - ١٩٥٣)

بعد سنوات طويلة فى تعلم السباكة والميكانيكا والرسم وتصوير الكتب، والمشاركة بأشعاره فى «الكباريهات» الأدبية،

أصبح من الدعاة للثورة الاشتراكية والمحررين للصحف الشيوعية. بعد هجرته من بلاده سنة ١٩٣٣ إلى سويسرا وفرنسا ثم موسكو، شارك فى الحرب الأهلية الإسبانية فى صفوف التقدميين، ثم استقر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فى برلين الشرقية حيث تقلد مناصب قيادية مهمة فى العمل الثقافى فى الدولة الاشتراكية السابقة.. وتعد السخرية النقدية والنبرة الدعائية من أهم سمات شعره التحريضى المباشر.. (راجع قصيدته القصصية «أم ألمانية» فى هذه المجموعة).

٢٣ - بيشر (يوهانيس؛ ١٨٩١ - ١٩٥٨)

من أهم شعراء ومثقفى الحركة الاشتراكية فى جمهورية ألمانيا الشرقية السابقة. بدأ حياته شاعرا تعبيريا صارخ الانفعال واللغة والصور، ثم اتجه إلى الاشتراكية حتى صار علما من أعلام «الواقعية الاشتراكية» وجعل نثره وشعره الغزير سلاحا فعالا لبناء مجتمع اشتراكى وديمقراطى عادل يبنى ما خربه الطاغوت النازى، ويبشر بالأخوة البشرية وإحياء قيم التراث الأدبى والأخلاقى والإنسانى الأصيل بعيدا عن التزييف الفاشى والرأسمالى معا.. أصدر فى سنة ١٩٥٢ ديوانه: «الجثة

على العـرش»؛ فـألقى القـبض عليـه واتـهم بالخـيـانة العظمى. وأخذت القضية تجرجر أذيالها ثلاث سنوات حتى أفرج عنه بعد تدخل عدد من أدباء العصـر المرمـوقين مـثل: جـوركي وتومـاس مـان وبريشت.. وقد ضـاعف هذا من تحمـسـه للشيوعية، ومن إيمانه بأن الأدب من أقوى أسلحة العمل الحزبى والثقافى المنظم لتـحقيق الاشتراكية الإنسانيـة.. هاجر من بلاده إلى الاتحاد السوفـييتى السـابق على أثر استـيلاء النازيين على السلطة فى سنة ١٩٣٣، ثم رجع إليها وأسس فى برلين - الشرقية - سنة ١٩٤٥ مجموعة من الأنشطة الثقافية من أهمها: الاتحاد الثقافى للتـجديد الديمقراطى لألمانيا ودار النشـر «أوفبـاو» (التـعمـير) والمجلة الأدبية المرموقة «المعنى والشكل». وفى سنة ١٩٤٩ وضع النشيد الوطنى لجمـهورية ألمانيا الديمقراطية السابقة، ثم تولى رئاسة أكاديمية الفنون من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٥٤ وعين فى هذه السنة الأخيـرة أول وزير للثقافة وظل يشـغل المنصب حتى رحيله فى سنة ١٩٥٨..

لا شك فى أن «بيشر» قد كافح كفاحا شاقا لتحقيق طموحاته وتصوراته عن الثقافة الإنسـانية والأدب التقدمي، ولكن لا شك أيضا فى أن حرصه على النزعة التعليمية والتحريضية وتبشيره

«باليوتوبيا» الاشتراكية قد أوقعه فى سخف خطابى كثير، وإن كان هذا لا يمنع من القول بأن بعض أغانيه ذات النبرة الشعبية البسيطة قد شاعت على ألسنة الناس، وأن بعض قصائده التى تغنى فيها بالثورة وزعمائها كانت طاقة دافعة للحماس ووقودا لاشتعال الأمل والحلم الاشتراكى الذى لم يلبث أن اختنق فى أكفان الروتين والفقر والقهر والتحجر والجمود..

يذكر له - إلى جانب شعره السياسى الملتزم، الذى تجد طرفا منه فى كتابى المتواضع عن ثورة الشعر الحديث، القاهرة، أبوللو سنة ١٩٩٨ - كتاباه النثريان: «دفاع عن الشعر» ١٩٥٣، و«المبدأ الشعرى» ١٩٥٧. (راجع فى هذه المجموعة قصيدته القصصية :أغنية الفلاحين).

المحتوى

تمهيد ٥

١ - ساحرة من نهر الراين ٢٣

ملك العفاريت ٢٥

لورا لاى ٢٩

الولد الضائع فى المرج الشاسع ٣٩

الباحث عن كنز ٤٥

صياد بجبال الألب ٤٩

لعبة العمالقة ٥٣

صبى الساحر ٥٧

٢ - الحب الصادق وحد بينهما ٦٣

ابنة صاحبة الفندق ٦٥

القفاز ٦٧

أنثى ٧١

بنو عذرة ٧٣

قصة حب موضوعية ٧٥

ملك من تولا ٧٧

٣ - طوبى للعصيان ٧٩
طوبى للعصيان ٨١
الحلاق المناسب ٨٣
تاجر من أصفهان ٨٧
مرسال ٨٩
صبى الشيطان ٩١
الطفل الذى سقط فى البئر ٩٣
٤ - حكاية من سالف الزمان ٩٥
حكاية عن نشأة كتاب «الطريق والفضيلة» ٩٧
إدوارد ١٠١
قصر على البحر ١٠٥
ملك من الشمال ١٠٧
نساء فينسبرج ١٠٩
التتويج الحزين ١١٣
لعنة المغنى ١١٥
إبيكوس وأسراب الكركى ١١٩
٥ - حكاية عن رجل شجاع ١٢٩
العهد ١٣١
٦ - صار الخبز يباع بسعر غال ١٣٧
والدم واللحم بأرخص سعر
وادى الآلام ١٣٩

الشحاذ وكلبه ١٤١
الساحرة الصغيرة ١٤٣
الطفل الواقف أمام باب الجنة ١٤٥
٧ – عرس في حقل القمح الملغوم ١٤٧
أجراس إيرفورت ١٤٩
عرس فى حقل القمح ١٥١
سكاجيراك ١٥٥
مأساة فى أفغانستان ١٥٧
حكاية الجندى الميت ١٥٩
٨ – لما حمل الليل العاصفة على حجره ١٦٣
حكاية عن الغنى والحاجة ١٦٥
شـــارل الأول ١٦٧
النساجون ١٦٩
أغنية للحصاد ١٧١
٩ – صار العبد الخاضع سيد نفسه ١٧٣
حكاية شجرة المانجو ١٧٥
أم ألمانية ١٧٧
أغنية الفلاحين ١٧٩
١٠ – نبذة عن كل شاعر ١٨١

صدر من آفاق عالمية

١- تنبـــــوات

شعر : بيفر /زاجراجن

ترجمة : د. يسرى خميس

يوليو ٢٠٠١

٢- اعتراف منتصف الليل

رواية : چورچ ديهامل

تعريب : د. شكرى عياد

اغسطس ٢٠٠١

٣- الزيتونة والسنديانة

نصوص شعرية مترجمة ودراسة عن الشاعر :

عادل قرشولى

د. عبد الغفار مكاوى

سبتمبر ٢٠٠١

٤- بلبل واحد لا يصنع ربيعا

مختارات من القصة العالمية

ترجمة د. حمادة إبراهيم

أكتوبر ٢٠٠١

٥- شـــراك القـــدر

مسرحية : انطونيو بوريو بييخو

ترجمة : د. طلعت شاهين

نوفمبر ٢٠٠١

٦- الأرض الخراب وقصائد أخرى

شــــعر : ت . س. اليوت

ترجمة : د. لويس عوض

تقديـــم : د. ماهر شفيق فريد

ديسمبر ٢٠٠١

٧- فى البحث عن ڤاليرى

تأليف : لـــــيج مايكـــــلــز

ترجمـــة : مى رفعت سلطان

يناير ٢٠٠٢

٨- زديج أو القضاء (قصة شرقية)

تأليف : ڤولتيـــر

ترجمـــة : د. طه حسين

تقديم : نبيل فرج

فبراير ٢٠٠٢

٩- قصائد امرأة سوداء بدينة

شعر : جريس نيكولز .

ترجمـــة : نانسى ســـمير
مارس ٢٠٠٢

١٠- عاشق من مونت كارلو (مختارات قصصية)
تعريب وتقديم : عبد القادر حميدة
أبريل ٢٠٠٢

١١- الحب والأسى (مسرحية صينية)
تـــأليف : (باى فنجكسى)
ترجمة وتقديم : سمير عبد ربه
مايو ٢٠٠٢

١٢- ذلك العالم المدهش
(حوارات مع كتاب عالميين)
ترجمة وتقديم : حسين عيد
يونيو ٢٠٠٢

١٣- شعر السبعينيات فى إسبانيا(دراسة ومختارات مترجمة)
د. حامد أبو أحمد
يوليو ٢٠٠٢

١٤ - المسرح الهندى (التراث والتواصل والتغير)
تأليف : نيميتشاندرا جين

ترجمة : د. مصطفى يوسف منصور

مراجعة : أ. د. منى أبو سنة

أغسطس ٢٠٠٢

١٥ - مختارات من روائع المسرح العالمى

ترجمة وتقديم د. نعيم عطية

سبتمبر ٢٠٠٢

١٦- الأغنية الأخيرة

مختارات من الشعر الصينى

تأليف : تشانج شاينج - هو

ترجمة : زكريا محمد

أكتوبر ٢٠٠٢

١٧- أفضل صديقاتى (مختارات من القصة العالمية)

ترجمة : مفرح كريم

نوفمبر ٢٠٠٢

١٨- الطاغية (ومسرحيات أخرى)

ترجمة د. جمال عبد الناصر

ديسمبر ٢٠٠٢

١٩- يقظة امرأة (رواية)

تأليف: كيت شوبان

ترجمة : د. أحمد الشيمى

يناير ٢٠٠٣

٢٠- مختارات من حكايات الشعوب

ترجمة وتقديم: رأفت الدويرى

فبراير ٢٠٠٣

٢١- خمس مسرحيات نو حديثة

تأليف: يوكيو ميشيما

ترجمة عبد الغنى داود

أحمد عبد الفتاح

مارس ٢٠٠٣

٢٢- سر بين اثنين

(مختارات من القصة القصيرة العالمية)

ترجمة: محمد رجب

أبريل ٢٠٠٣

٢٣- ملحمة جلجاميش

ترجمها عن الألمانية: د. عبد الغفار مكاوى

راجعها على الأكدية: د. عونى عبد الرءوف

مايو ٢٠٠٣

٢٤- شعراء وقصائد
باقة من بستان الشعر اليونانى الحديث
ترجمة عن اليونانية ودراسات: د. نعيم عطية
يونيو ٢٠٠٣

٢٥- فى الحب والحرية والمقاومة
مختارات من الشعر العالمى
ترجمة وتقديم: د. حسن فتح الباب
يوليو ٢٠٠٣

٢٦- الحجر ليس بريشة
مختارات من شعر بيثنته ألكساندر
ترجمة وتقديم: عبد الهادى سعدون
أغسطس ٢٠٠٣

٢٧- تدابير ضد السلطة
مختارات من القصة الألمانية فى القرن العشرين
ترجمة وتقديم: د. محسن الدمرداش
سبتمبر ٢٠٠٣

٢٨- تحولات الجحش الذهبى
تأليف : لوكيوس أبوليوس المداورى
ترجمة: د. على فهمى خشيم
أكتوبر ٢٠٠٣

٢٩- مسرحية «حسن البغدادى»
تأليف چيمس الروى فليكر James Elroy Flecker
ترجمة وتقديم: محمود محمد مكى
نوفمبر ٢٠٠٣

٣٠- صورة للبقاء
شعر وترجمة: روديكا فيرانيسكو
ديسمبر ٢٠٠٣

٣١- ممنوع اللمس وقصص أخرى
مختارات من إسبانيا وأمريكا اللاتينية
ترجمة: أحمد عبد اللطيف
يناير ٢٠٠٤

٣٢- دميان
تأليف: هرمان هيسه
ترجمة: عبده الريس
فبراير ٢٠٠٤

٣٣- مشجوج بفأس
ترجمة: فاطمة ناعوت
تقديم: حلمى سالم
مارس ٢٠٠٤

٣٤- الحضيض

تقديم: أحمد عبد الرازق أبو العلا

ترجمة: فؤاد محمود دواره

راجع الترجمة: د. محمود السعران

أبريل ٢٠٠٤

٣٥- مناظر من أرض جديدة

قصص لكاتبات من أمريكا اللاتينية

ترجمة: إيزابيل كمال خليل

مايو ٢٠٠٤

٣٦- مدن لا مرئية

تأليف: إيتالو كالفينو

ترجمة : ياسين طه حافظ

يونيو ٢٠٠٤

٣٧- حكايات الجن الألمانية

جمعها وصنفها: الأخوان جريم

ترجمة : د. توفيق على منصور

يوليو ٢٠٠٤

٣٨- مـــاراصـــاد وأنشودة غول لوزيتانيا

تأليـــف: بيترفايس

ترجمة وتقديم : د. يسرى خميس

أغسطس ٢٠٠٤

آفاق عالمية

لا أستطيع أن أترك القلم قبل أن أعبر عن أمل كبير، وهو أن يلتفت أدباؤنا وشعراؤنا، من الشباب بوجه خاص، إلى القصيدة القصصية، ويتابعوا بقدر الإمكان أفضل نماذجها سواء فى الأدب الألمانى أو فى غيره من آداب الشعوب كافة، لاسيما فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى وغيرهما من الآداب الغربية - وليس عندى أدنى شك فى أن أدباءنا وشعراءنا سيجدون منبع إلهام صاف يمكن أن يساعد على الاغتراف من منابعهم التراثية الخاصة ومن أدبهم الشعبى الغنى بالكنوز.. وربما حفزهم أيضاً على شق طرق جديدة تعطى للقصيدة القصصية والدرامية فى أدبنا العربى الحديث ما تستحقه من حب وعناية واهتمام، وتضيف إلى نماذجها الرائعة والنادرة عند بعض رواد شعرنا الجديد نماذج أخرى لأدباء وشعراء أحدث منهم سنا وربما أكثر جرأة وإقداما على المغامرة فى خوض بحار الساحر الذى نسميه الإبداع...،



الثمن: جنيهان

شركة الأمل للطباعة والنشر